مُحارِبة
من زمن الغربة
"لغز شمس"

شادن صلاح

اسم الكتاب : محاربة من زمن الغربة

اسم الكاتب : شادن صلاح

رقم الإيداع : 25249 / 2018

الترقيم الدولي : 978-977-835-087-6

الطبعة الأولى : 2018

إخراج داخلي : هيام فهيم

صادر عن : بوك جارد للطبع والنشر

102 شهاب الدين خفاجة - متفرع من ش نهرو- القاهرة - مصر

Book Guard for publishing

01554870240

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لبوك جارد للطبع والنشر

الإهداء ..

أهدي هذا الكتاب إلى ..

كل من شارك فرحتي بحروفه،

ومن ساعد في ولادته إلى الحياة ولا أستثني أحدًا

من أصدقاء ... أخوة ... دار النشر ... عمال المطبعة

كونهم أول من شهد ولادة هذا العمل،

وتعاملوا معه كمولود جديد وأذنوا في صفحاته

إيذانا بدخوله عالم الكتاب ...

شادن صلاح

البداية ..

الحب مصطلح ليس مفهومًا للجميع فهناك من يترجمه حسب اعتقاداته في الحياة أو حتى حسب.
انتماءه العائلي أو الديني أو حتى السياسي فنحن عندما نتحدث عن الحب نتحدث عن شيء ليس ملموسًا، ولكنه يلمسنا بشكل غير مرئي و يرانا ولا نراه .. فأنت عندما تقف على نافذة الغياب وتنتظر من وعدك أن يعود فأنت في حالة حب .. وعندما تجبر كسرة مقهور بضحكة فأنت تعيش حالة الحب. وعندما تنام على وسادة اعتدت أن تشكو لها كل ليلة قهرك وصمتك وغضبك. فأنت في حالة حب. عندما تمارس رياضتك الصباحية وأنت تراقب بزوغ الشمس. وتسعدك زقزقة العصافير فأنت في حالة حب .. فالحب مصطلح واسع وشامل ومن الظلم أن نقيده بشيء. فعاداتك وتقاليدك واجتماعاتك العائلية، ولقاؤك العابرين بشكل سريع.
هذه الأشياء كلها تترك في نفسك شيئًا من مناوشات خفيفة، تظهر لك في الوقت المناسب، تظهر عندما تقع في مأزق، ليأتي الحب ويذكرك بشيء رقيق راقي،وكأنه سحر أو شعوذة أو تعويذة فكل منا يمارسه حسب مزاجه وفضوله وحالته، فما أمارسه أنا من حب قد يكون بالنسبة لأحدهم منتهى التجاهل والقهر ...

فلا يفترض في الحب أبدًا مسألة الورود، واللقاءات، والمكالمات الهاتفية الطويلة، والقبلات من وراء سماعات الهاتف أو من وراء الشاشات.

فهناك حب يكون بنكهة التجاهل الجبار والعيون التي تقدح شررًا من شدة الغيظ .. وحب يكون على شكل عزلة مقيتة تغير من أشكالنا وطباعنا .. وآخر يكون على شكل خلوة نشعر فيها بأننا في غمرة مشاعر لا مكان فيها للوحدة القاتمة، وإنما تلك الخلوة التي تجعل الروح مشتعلة دائمًا بالاحتواء.

هكذا هو الحب دائمًا لا تعرف له راسًا من قدم ولا نعرف له حتى نسبًا.

هكذا هو حر طليق يتحكم بالقلوب كيف يشاء، ويمارس الأسر على الجميع دون رحمة، كل على حسب القربان الذي يقدمه وكيمياء تفاعله مع ذلك الحب ... لم تكن شمسًا تعلم شيئًا عن الحب، ولم تفكر به يومًا منذ صغرها وهي فتاة حالمة تحب الحياة.

تلفت نظرك ببشرتها البيضاء وعيونها العسلية الواسعة ورشاقتها في اللعب بالزقاق مع ذكور الحي أكثر من إناثه.فصديقاتها في الحيّ كانوا يكنون لها الغيرة بسبب اهتمام الجنس الآخر بها سواء كانوا صغارًا أو كبارًا.

كانت كالشعلة فحولها هالة غريبة لها عطر خاص لا يشبه العطور تمشي غنجا دون أن تقصد. فكانت مشيتها موروثة عن عمتها عائشة هذا ما أخبرته إياها أمها ... شعرها الخرنوبي الطويل تغازل خصلاته في ضوء الشمس.

فكانت لا تحب أن تجعله مفلوتًا كي يتسنى لها اللعب في الزقاق .. لا تريد أن يعيقها شعرها عن ممارسة طقوس طفولتها وهي لا تعلم أن شعرها وعينيها كانتا أداة قتل شهية بالنسبة لأطفال الحي الذين كانوا يقاربونها سنًا. حيث أنهم كانوا يجتمعون اجتماعات مغلقة ليخبر كل واحد منهم الآخر ما قالته له شمس. وكأنهم يراهقون وشمس انثاهم الوحيدة مع أن كل واحد منهم لديه شقيقات وأقارب ولكن شمس كانت مختلفة فهي كما قال مصطفى الرافعي (ملتهبة الأنوثة كشعاع الظهيرة) هي شمس وكانه يتكلم عنها.

فأحدهم يحدثهم كيف أن شعرها داعب خديه فترك الكرة لتذهب إلى الخصم ليخسر هدفًا محققًا .. والآخر كيف لمست يده يدها فشعر بدوار وبشعور شقي جعل قلبه يدق، وكانه يدق قبول الحرب.

كل تلك الاجتماعات لم تكن تعلمها شمس، وإن علمت بها فلن تلقي لها بالا.. فهذه الأمور غير مهمة بالنسبة لفتاة اتمت الحادية عشر ودخلت في الثانية عشر. شمس شخصية غريبة وعميقة وتمتلك حكمة صاخبة على الرغم من صغرها. ولكن علاقتها بأمها كانت علاقة غريبة فهي لها ٦ أخوات بنات و أمها كانت تتعمد أن تحبسها ولا تسمح لها الخروج وتوبخها إذا تركت شعرها مفلوتًا على الرغم من أن أختيها اللتين تصغرانها سنا كانتا تمارسن أنوثتهن بكل أريحية فالتنبيهات موجهة فقط لشمس.

فأمها دائمة الاهتمام القسري بها والتي لم تشعر شمس بطاقة حبه أبدًا لا تعلم لماذا هذا الاهتمام الذي ليس له نكهة و ليس له مرجع فقط هو اهتمام يخنقها فقط ... فتشعر بشيء سيء اتجاه أمها لأنها كانت تنظر إليها دائما نظرات شك، ودائمًا كانت تصرخ عليها أن لعبت طويلًا في الخارج.

ففي أحد المرات كانت أم شمس عائدة من السوق ورأت ابنتها تلعب مع شباب يكبرونها حوالي خمس سنوات، ومنهم من كانت ذقنه تظهر، والآخر بدت علامات البلوغ الكاملة عليه. كانوا يلعبون لعبة بيت باريس يرسمون مخططًا على الارض ويقفزون بوثبات معينة بحيث انهم لا يدوسون على الخطوط. فيجب أن تأتي القدم ضمن المربع.

فكان لسوء حظ شمس أن دورها قد حان وهي تقفر وشعرها يطير وصدرها الذي بدأ بالبروز يتحرك ونظرات الذكور الذين يلعبون معها تكاد أن تلتهمها .. فجاءت أمها وصرخت شمس شمس ألم أقل لك أن تكفي عن اللعب في الزقاق لقد أصبحتِ كبيرة ادخلي أمامي يا إلهي هم البنات إلى الممات.

وأمسكت شمسًا من شعرها وأدخلتها المنزل وهي تصرخ وتقول ماما أنت تؤلميني. فأجابتها ألم أقل لك أن تبتعدي عن اللعب مع الكبار ..

شمس: كلا يا أمي كنت أقف وأشاهدهم يلعبون فسألوني هيه شمس هل تريدين أن تلعبي معنا.

فقلت بدون تردد: نعم وسأهزمكم فأنا ماهرة جدًا.

فضحكوا وقهقهوا وقالوا أرنا يا شمس.

فهذا المخطط كبير جدًا على حجم قدميك الصغيرتين.

قالت لهم: سأفعلها نعم أستطيع أن أفعل ذلك وستندمون ...

استجمعت قواها وأخذت نفسًا عميقًا ووثبت وثبة عالية، وكأنها تمارس مهارات القفز العالي والسريع كعصفورة هادئة رقيقة جذابة.

فيها كل الطفولة التي تكتنز في خباياها الكثير والكثير. حتى وصلت إلى المربع المطلوب ولكن بصعوبة فصفقوا لها وشجعوها على الاستمرار. وهي استمرت تلعب وتحلم حتى جاءت أمها وأفسدت كل شيء.

دائمًا يأتي شخص ما في الوقت الخطأ ويفسد عليك لحظاتك الرائعة بتدخل غير مدروس أرعن بحجة الشعور بالمسؤولية تجاهك. ولكن ماذا يفيد الاهتمام واللحظة أعدمت أو سرقت.

شمس في طور البلوغ ..

كانت شمس قد أتمت سن الاثني عشر عامًا ولكنها كانت طفلة جدًا على الرغم من بدايات مظاهر البلوغ. صدرها الذي بدأ يكبر دون أن تهتم، وظهور الشعر تحت إبطيها، كل ذلك لم يمنعها من ممارسة طفولتها، كانت تلعب وتجري في المدرسة وفي الزقاق ولا تذهب إلى النوم إلا وهي منهكة تنام بسلام لتصحو في اليوم الثاني على تحقيق أحلامها الجميلة والصغيرة. والتي لا تتعدى بكلة شعر أو أسواره تقليدية أو عقد من الخرز. كل شيء كان يفرحها بل ويبهرها.

شعرت شمس في يوم من الأيام بألم غريب في بطنها وكأن بطنها تقطعه السكين أربًا أربًا ولكنها لم تهتم لذلك الألم وظنت أنه انفلونزا أو إسهال أو شيئًا من هذا القبيل. ولكن لم يكن الأمر كذلك عندما دخلت إلى الحمام ووجدت أن ثيابها الداخلية عليها بقع داكنة تميل إلى اللون البني القاتم ... ففكرت شمس ما هذا الشيء الغريب هل هي وقعت أم أنه اتسخ من شيء ما.

فقامت بتغيير ملابسها وغسلت تلك البقع البنية، وذهبت إلى المدرسة وكان شيئًا لم يكن .. دخلت إلى حمام المدرسة ووجدت نفس الشيء فأخبرت صديقتها منال بذلك.

فقالت لها منال: ألف مبروك لقد أبلغتِ ولكن شمسا لم تعِ ما تقول منال. فقالت شمس عزيزتي منال وماذا يعني ذلك؟ .. فقالت منال أيتها الغبية معظم بنات الشعبة أبلغن وهن سيطرن من الفرحة فلماذا تبدين أنت كالحمقاء؟ فهل حقًا أنت لا تعلمين ما يعني ذلك.

فجاوبت شمس برعب: لا والله لا أعلم.

قالت شمس برعب واستغراب: هل هذا الموضوع طبيعي.

فضحكت منال ضحكة عالية وطويلة وهي تهزا بشمس التي بدأت بالبكاء وخافت.

قالت منال: (أيتها الحمقاء لا تبكي واذهبي واخبري أمك بذلك فمن المؤكد إنها ستفرح بأن ابنتها قد وصلت مرحلة البلوغ. وافهمي من أمك هذه الأمور فأنا لا أستطيع أن أساعدك).

قبلت منال شمس، وحاولت احتواء خوفها ومسحت دمعاتها، وقالت لها: لا تخافي. فقد أصبحتِ الآن مكتملة الأنوثة افرحي فهناك بنات لا يأتيهن الحيض ولا يستطعن الزواج والإنجاب. سأذهب وأخبر رفيقاتي بأنك أصبحتِ مثلنا أيتها الحمقاء ....

عادت شمس من المدرسة ونظرات الخجل تغزو عينيها وضحكات خجولة وهي تزمزم فمها. وهي تهم أن تخبر أمها بتلك البشرى .. ولكن ما حدث كان مفاجأة بشعة....

خيبة شمس ..

كانت والدة شمس جالسة وهي تطوي الغسيل فهذا مظهرها المعتاد في المنزل الطبخ والغسيل وتنظيف المنزل والترتيب. دون أن يكون لها الوقت الكافي للاهتمام بشؤون بناتها النفسية. فاهتمامها كان منكبًا على نظافتهم الشخصية فقط.

ووالدة شمس كأي أنثى في دمشق نذرت روحها ونفسها لتكون خادمة لزوجها وأولادها ناسية نفسها. وكأن الإخلاص في الزواج أن تنسي روحك واحتياجاتك أو حتى ملامحك. لتتحول المرأة إلى آلة في المنزل اعتاد الجميع أن يطالبها دون أن يشعروا إنها من الممكن أن تكون بحاجة إلى شيء ما ... وكأن الله خلقها لهم ولم يخلقها لها.

هذا هو الفكر المريض في مجتمعاتنا الذكورية المريضة. وكأن الزوج عندما يقدم على الزواج يكون قد وقع على عقد استقدام خادمة، ولكن دون أجر وبالنسبة للمتعة الجنسية ستكون حلالًا .. فهكذا تحول مصطلح الزواج إلى مصطلح رق وعبودية. في مجتمعاتنا ولكن هذا الخطأ نحن الذي ارتكبناه في حق النساء. عندما قمنا بإقناعهن ببعض المفاهيم الخاطئة.

فالامرأة في كل الديانات مكرمة ولكن المجتمعات وتفكيرها المريض هو الذي أهانها. معتقداتنا الموروثة والتي تحمل الظلم للمرأة وكأنها شريعة منزلة من السماء. العادات التي حرمت المرأة من الإرث وبعضها حرمها التعليم .. والمرأة مستكينة وراضية وإن اعترضت من الممكن أن تنعت بصفات سيئة قد تطال عرضها وشرفها فالمشكلة فينا نحن.

شمس والحقيقة ..

تقدمت شمس بخطوات خجولة إلى أمها وقد رمت وراء ظهرها تلك الفجوة التي خلقتها شمس بنفسها وأرادت أن تفتح مع قلبها بابًا جديدًا كونها بدأت في طور جديد من دورة حياتها. فلابد أن تكون ناضجة ولا تحمل شيئًا ليس مفهومًا اتجاه والدتها فهي بالنهاية أمها ومكمن أسرارها.

وتوقعت شمس أن مثل هذا الموضوع سيزيل العقبات والفجوات والحواجز بين شمس وأمها. لذلك كانت تمتلك رغبة في فتح الحديث مع أمها وبدأت بطي الغسيل مع أمها والترتيب. والضحك في وجهها ضحكات خجولة.

فقالت أم شمس: ماذا يا شمس يوجد في فمك كلام. قوليه على عجل قبل أن أنهي ترتيب الغسيل.

ابتلعت شمس ريقها. وقالت: ماما أخبروني صديقاتي في المدرسة أني قد أبلغت وانا لا أعلم ما يعني ذلك وطلبوا مني أن تشرحي لي هذا بالتفصيل وعيون شمس شعلة من الخجل، ووجنتاها تحولت إلى اللون الأحمر، وبدأت تنتظر عناقًا من أمها. ولكن ما قالته منال لشمس كان على العكس تمامًا. حيث أصبح لون وجه الأم أحمر وتجهمت وقالت لها ماذا

تقولين أيتها الحمقاء؟ كيف تتكلمون بهذه الأمور في المدرسة، اخرسي واذهبي من وجهي ...

اصفر وجه شمس وقالت مترددة: ولكن يا أمي تعبت من تغيير ملابسي الداخلية من بقع تشبه الدم.

أمسكت الأم يد شمس بقوة واقتربت منها وقالت لها: ماذا فعلت أيتها الحمقاء. من فعل بك هكذا.

قالت: شمس من عمل ماذا؟

وأصبحت أم شمس تقول لشمس كلمات غريبة فيها لهجة تهديد ووعيد وأخذتها إلى غرفة خالية واقفلتها وبدأت باستجواب شمس ولكن شمس لم تفهم طبيعة الأسئلة ولم تعرف الأشياء التي تقولها أمها.

قالت شمس أمي لا أعرف عن ماذا تتحدثين؟ زميلاتي كلهن بالغات ويحضن من سنة كاملة.

فأمسكت أم شمس شمسًا من شعرها وأخذت تشده وتصفعها صفعات على وجهها. وهي تقول اعترفي أيتها الكلبة من اقترب منك. هل اخذك رجل ما إلى بيته ونزع عنك ملابسك؟

شمس: ماما ماذا تقولين لا لم يفعل أحد ذلك؟ وهي تبكي وتشهق من شدة الصفعات والضرب.

يئست أم شمس من ابنتها وخرجت من الغرفة المظلمة وشمس ضعيفة البنيان وجهها أحمر من شدة الصفعات وتحول لون عينيها إلى أخضر فبياض العين أصبح جمرا ...

ثم عادت الام قائلة اسمعي يا شمس إياك أن تلعبي خارج البيت بعد اليوم. فإن فعلت سترين مالا تحمد عقباه. ولن أرسلك إلى المدرسة حتى تقولي لي من فعل بك هذا ... فكري جيدًا بالموضوع.

بعد نصف ساعة من الوقت دخلت أخت شمس الكبيرة والتي كانت تكبرها بخمسة عشر عامًا. كانت دكتورة صيدلانية دخلت الغرفة ووجدت شمسا ترتعش من البكاء وتشهق. فعادت لبنى إلى مراحل نمو شمس حيث أن شمسًا منذ ولدت وهي تعاني من أمراض الأطفال التي تتراوح بين السعال الديكي واليرقان والتيفوئيد وأبو كعب ماعدا الأمراض الطبيعية التي كانت تلاحق الأطفال بسبب انعدام ثقافة الطب الوقائي.وكانت لبنى تهتم بشؤون شمس كون الأم منشغلة بأمور أخرى.

ففي مرة من المرات كانت لبنى تضع البامبرز لشمس وهي تبلغ من العمر سنتين. وذلك بسبب اصابتها بأمراض متتالية ومن شدة المرض كانت شمس تنام ساعات طويلة. فشعرت لبنى حينها أن شمسا تلفظ انفاسها الأخيرة فصرخت بحسرة يالله ماتت شمس ماتت شمس ركض والدها وأخواتها وهم يبكون لأنهم كانوا يتوقعون موتها في آي لحظة فكان شكلها يشبه أطفال أفريقيا الذين أرهقتهم المجاعات.

وفي كل مساء كانت لبنى وأخواتها يودعون شمسًا ظنا منهم أنها ميتة لا محال فكانت تدخل في حالات غياب تام عن الوعي، و غالبًا ونتقيأ عندما يسعفونها إلى المشفى وكأنها تودع الحياة وأوردتها كلها مخزوعة وعلامات الإبر في كل مكان.

في مرة أسعفت أم شمس ابنتها إلى الطبيبة وهي تبكي دخلت العيادة وهي تقول أريد أن ادخل إلى الطبيبة لأتأكد أن ابنتي ماتت ام لا تزال على قيد الحياة. تعاطف الجميع معها وبكوا على بكاء الأم المكلومة التي تحمل ابنتها ذات اللون الشاحب وكأنها خرقة بالية عيناها غائرتان والزبد يخرج من فهمها .. وادخلوها على الفور.

نهضت الطبيبة وهي خائفة وضعت شمسا على الشازلون وفحصت دقات قلبها وقالت لابأس ابنتك لاتزال حية. هدئي من روعك ما اسمها فقالت الأم بصوت مخنوق: اسمها شمس.

ضحكت الطبيبة وقالت: لو سميتيها قمر لكان الأمر أفضل، فاسمها لربما يحرقها. كم ولد عندك يا مدام؟

فقالت: سبع بنات وأربع ذكور.

ضحكت الطبيبة وقالت: لا بأس أن ماتت فعندك غيرها.

غضبت تلك الأم التي لم تعرف كيف ارتدت ثيابها ولا تعلم أن كانت خرجت بملابس البيت أو لا وكيف حجابها .. هل كان يستر شعرها؟

فوالدة شمس كانت لا تظهر وجهها من شدة جمالها ولكن حالة شمس المرضية أنست الأم كل شيء. ولكنها حقدت على تلك الطبيبة التي لا تملك قلبًا. وتخبرها ألا تحزن أن ماتت شمس فقالت في نفسها: نحن إذا قررنا أن نذبح خروف العيد الكبير كنا نسوقه إلى البيت ليمكث أسبوعًا أو أكثر ونلاعبه ليصبح وكانه فردًا من العائلة. ولكن عندما كانت تأتي لحظة النحر كان الأولاد يكرهون أباهم الذي يزهق تلك الروح الوديعة. وهم لا يعلمون أن هذا الطقس هو أحد طقوس الالتزام بشعائر الله المقدسة. فكيف تجرأت تلك الطبيبة ذات الدم البارد على التلفظ بتلك الكلمات المميتة.

نظرت أم شمس إلى ابنتها وهي تحدثها ودموعها تغرق وجهها: شمس ابنتي أرجوك أن تبقي على قيد الحياة حتى لو كنت مثل النبات. فيكفي وجود روحك بيننا. تبا لك أيها الطبيبة ماهو الميثاق الذي أقسمت عليه عندما حصلت على شهادة الطب ...

سرحت لبنى بذلك الماضي وبتلك التفاصيل الدقيقة ونظرت إلى شمس نظرة لا تشبه نظرات الأم. فشمس لا تعرف من أمها سوى نظرات الغضب والاحتقان والشك.

أما ما يطلقون عليه نظرة أم. فشمس لم تحظَ بها أبدًا. فهذه النظرة كانت تمارسها أم شمس مع أخوتها الذكور وأختها الصغرى آخر العنقود تسنيم.

فكانت شمس توقن أن أمها تستطيع أن تطلق نظرة الود تلك لها ولكنها لماذا لم تفعلها معها.

لبنى: حبيبتي شمس أهدئي قليلًا ولا تبكي أمك تخاف عليك وتريد أن تطمئن لا أكثر.

فنظرت لها شمس بنظرة ألم واستهزاء: على ماذا تريد أن تطمئن؟ علي أنا؟ بعد أن اوسعتني ضربًا وهي تكلمني كلاما لا أعلم معناه. أخبريني أختي لبنى ماذا تريد مني أمنا؟ .. الموضوع أن صديقاتي قالوا لي اسألي امك فكانت هذه النتيجة. وكشفت شمس عن يدها لتريَ لبنى إنها تحولت إلى بقعة زرقاء دائرية في زندها. ونظرت إلى حجرها ووجدت خصلات شعرها التي تساقطت من عزم الشد.

فأمسكتها شمس باستهزاء: أتريد أن تطمئن على هذا ... أخبريني أرجوك ما الذي تريده أمنا.

صمتت لبنى برهة وهي مرتبكة تستجمع قوتها وقالت: حبيبتي شوشو أنت صغيرة وحلوة وتعلمين ما يجري في شوارع المدينة من اغتصاب فهناك فتيات من هم في سنك، وأنتِ كنتِ تقولين أن رجلًا كان يركب دراجة هوائية حاول خطفك وأنت صرخت وجاء اصدقاؤك لينقذوك فلاذ هو بالفرار. وبالطبع في مجتمعنا الفتيات تخاف من الفضيحة فتكتم هذا السر الذي يكون بمثابة شبح أو كابوس لا يفارقها ليلًا أو نهارًا.

صمتت شمس ثم قالت: لبنى أنا لا افهم ما تريدين أن تقوليه لي. لا أريد أن أسمع من مثقفة منك تعلم أن سن البلوغ للفتيات في بلدنا يتراوح بين ١١ و١٣ سنة وأنت كما أخبرتني إنك أبلغتِ في سن العشر سنوات. وأنت تفوقينني بالجمال. فهل هذا يعني أنك تعرضت لاغتصاب أحدهم؟ ثانية ما علاقة الاغتصاب بأني أصبحت بالغة. أريد أن أفهم ...

فطفولة شمس لم تستطع ربط الاغتصاب بالبلوغ لم تفهم الفكرة أو لربما حاولت طردها ...

خجلت لبنى من نفسها وقالت لها: أمك قلقة عليك كثيرًا.

فقالت لها: ليتني لم أبلغ وبقيت هكذا طوال عمري.

نظرت لبنى لشمس نظرة اعتذار. وناقشت ما قالته شمس معها: فعلًا شمس محقة فأنا صيدلانية فاشلة جرحت أختي الصغيرة وأنا ارتدي أمية أمي وبيئتها المتخلفة التي لا تعترف بحق البنات بالتعليم على العكس من عائلة والد شمس التي كانت على قدر من الثقافة والعلم. فأخوة شمس كلهم أطباء ومهندسين ومعيدون في الجامعات.

طبعت لبنى على جبين شمس قبلة وقالت: لا بأس يا حبيبتي. لا تخبري أمك بشيء وأخبريني بكل شيء. أمك لا تمتلك وقتًا كافيًا لمتابعة امور بلوغك ومراهقتك اعتبريني أمك الثانية. اتفقنا شمس ...

صمتت شمس ولم تقل شيئًا ... وفي تلك اللحظة أخذت شمس عهدًا على نفسها منذ أن تخبر نفسها بكل شيء دون أن تخبر آي أحد فهي لم تعد

نثق بشيء أو بأحد حتى أمها ... فهذا أول اعتراف أدلت به شمس لأمها وحملت منه الكثير من القهر والخيبة ... فلا بأس حدثت شمس نفسها (سأتدبر أموري وسأبتعد عن المشاكل بقدر استطاعتي).

فللأسف الفكرة المسيطرة الملحة في مجتمعاتنا تطغى على الحقائق فنحن شعوب تعيش على الكاذبات الموروثة نسمع الكذب ونصدقه ونرفض سماع الحقيقة.

الأنوثة الغائبة ..

أيقنت شمس أن حياتها الفعلية بدأت فكل ما مضى كان مجرد مشاغبات وطفولة طاغية. فهي تظن حقًا إنها استنفذت تلك الطفولة حتى آخر قطرة. ولا تتذكر أن هناك شيئًا ندمت بأنها لم تقم به فمثلما كانت متفوقة بالدراسة وكانت تعطيها حقها. كذلك أعطت تلك الطفولة التي سترسم الكثير من ملامح مستقبلها نفس الحق.

ارتدت الحجاب وغطت ضفائرها التي كانت بمثابة جدًار ناري يحرق أمها لا تعلم لماذا؟ فأخواتها اللواتي كن يقاربنها بالسن كانت تفعل بشعرها كما تفعل شمس ولكن لماذا كانت ردة الفعل العدوانية اتجاهها. هذا السؤال الذي لم تجد له جوابًا أبدًا، ولربما ستجاوبها الأيام على تلك الاحجية المستحيلة.

اجتازت شمس المرحلة الإعدادية بمزيد من التفوق والثقة. كانت فتاة مؤدبة نجولة ومتفوقة. وكان الكثير من الفتيات يتغيظن غيرة منها. بسبب إعجاب المعلمات المتزايد بها. فكانت بارعة باللغة الانكليزية وقواعدها على الرغم من أن مدرستها في التعليم الابتدائي كانت مدرسة حكومية لم تكن قد أدخلت اللغة الأجنبية في تلك المرحلة. واللغة الاجنبية كانت حكرًا على المدارس الخاصة ذات الاقساط العالية التي لا يرتادها سوى

الأغنياء. على الرغم من ذلك كانت تتفوق على مثيلاتها ممن درسن اللغة الأجنبية ثلاث سنوات قبلها. وهي بدأت معهم الآن بنفس المستوى. ولكن ذكاءها الخارق والحاد كان ما يميزها فهي فعلًا شمس. تضيئ ولا تحرق أحدًا.

واستمرت هكذا فتاة خجولة لا تكلم الشباب على خلاف صديقاتها اللواتي كانت تمتلك كل واحدة منها عشرات المحبين. كانت شمسا لا تنكر أسلوبهم ولكن لا يروقها أن تفعل مثلهم. ومن تأتي تشتكي لها كانت تعاملها شمس كأخت وأم. فهي تمتلك حكمة تتناسب مع الظرف. وكأنها تجيد حياكة الحكيمات لتستطيع أن تمتص ضياعهن النفسي ومن ثم إرشادهن إلى الطريق الذي لا يؤذي قلوبهن.

استمرت مسيرة شمس هكذا حتى المرحلة الثانوية التي اجتازتها بنجاح في حين أن الكثير من صديقاتها لم يستطعن ذلك.ودخلت شمس في مرحلة جديدة من الحياة وهي المرحلة الجامعية.

استعادت شمس سنوات دراستها السابقة وقالت: لقد استطعت أن احتوي نفسي دون أن ألجأ إلى أحد. والآن أصبحت أكبر وأكثر نضجًا وأستطيع أن أكمل ما بدأت به.

دخلت شمس كلية الإعلام وبدأت رحلة استكشاف جديدة. لم تعلم شمس ما سبب اختيارها هذا المجال. فهو لا يشبهها بشيء ولكن وجدت أن لديها رغبة عارمة لتصبح إعلامية مشهورة.

تريد أن تصبح شيئًا ساطعًا يشبه اسمها تنير دون أن تحرق .. تريد أن تقضي على ثقافات الشعوب الموروثة والبالية والتي يتم استقلابها من الأجيال الأخرى بشكل خاطئ فتتكاثر المشاكل وتكبر ... فهناك ثقافات غائبة في مجتمعاتنا وضرورية.

ولكن ثقافة العيب تجعل المجتمع ينفر منها. وهي الثقافة الجنسية. فلابد لكل أم أن تُعلم أن الأنثى التي أنجبتها تحتاج لاهتمام روحي ومعنوي أكثر من المادي. ولابد أن تصل لها الفكرة في الوقت المناسب ولا نترك لبناتنا أن يحصلن على هذه الثقافة من الشارع.

الذي ينتظر قدومهن بشغف لتسميم فطرتهم السليمة ... وتهديم المجتمع، وكذلك الأب يجب عليه أن يحتوي أبناءَه الذكور ويوصل لهم فكرة البلوغ بالطريقة الصحيحة ... وأن يوعيهم كي لا يقعوا في المحظور. فمجتمعاتنا افترستها الأفكار المغلوطة وهذه الأفكار من المؤكد أنها موجهة لإتمام عملية افساد المجتمع من خلال السيطرة على شبابه.

هكذا مضت شمس وتعرفت على الكثير من الصديقات التي اختلفت انتماءاتها الدينية ولكن شمسًا كانت لا تنظر إلا إلى روح الشخص وقلبه والأمور الأخرى هي عبارة عن هراء يقسم ظهر البشرية ليتقاسموها وجبة الكره الموروثة.

كان هناك من يستفزها لتنطق بشيء سيء حتى تنهدم صورتها أمام الجميع ولكنها لم تكن تهتم كيف ينظر إليها الناس كان يهمها قلبها وروحها أن يكونا متفقين.

تعرضت إلى مواقف سب وشتم ومواقف استفزازية ولكنها كانت تفاجئ الجميع بصمتها وبرودها وكأنها بكماء. فهي سياسة اكتشفتها شمس واعتنقتها وهي سياسة العفو. فبنظرها كل البشر في داخلهم بذرة طيبة صالحة. لابد أن نكتشفها في كل انسان ونساعده ليكبرها وينميها أما الجانب الشرير.

فلم يُخلق أحد شريرًا ففطرة الله التي فطر الناس عليها هي فطرة كلها خير. تجدها عند المسلم والمسيحي والبوذي واليهودي. أما الجانب المظلم فينا نحن بنياناه واتهمنا الأخرين بإقامته.

شمس تحب الجميع وتريدهم أن يعثروا على تلك البذرة الطيبة. وأن ينهلوا من الحياة بأكواب الحب والود. فلا شيء في الحياة يستحق الكره والأذى فكلنا راحلون.

فنحن عندما نعمل خيرًا ما نعيش بطاقة إيجابية تساعدنا على البذل والعطاء. فما قدمناه من خير للآخرين حصدنا مثله لروحنا. فالخير متكافئ وفي النهاية يجب ألا يخاف الناس من العطاء.

فكما قال الرسول الأعظم عليه السلام لا ينقص مال صدقة فمن الممكن أن نسقط هذا الحديث العظيم على الحياة العملية والروحية فالعطاء

للآخرين يعطينا أكثر ممن وهبانا أو أعطينا. وفي النهاية العطاء هبة من رب العالمين فهناك أشخاص غير قادرين على العطاء باي شكل من الأشكال يحسبون الكلمة الجميلة فتظل واقفة عند الأسلاك الشائكة للسان.

أو حتى غير قادرين على منح نظرة حب أو ود. فعندما نعطي نشعر أننا أحياء. وعندما نحب نشعر أننا أحياء. وبالصدق نشعر أننا أحياء. ولكن هناك ناس يفضلون الموت وهم على قيد الحياة وأن يعيشوا في قبر الشح. ليتحولوا إلى جيف دون أن يدروا.

لو يعلم الإنسان أن الحب لوحده هبة ليس الجميع قادر على امتلاكها أو ممارسة طقوسها بالشكل اللازم. لو يعلم الإنسان أن الحب هو هبة الخالق له واختصه بها لوحده. وطبعًا ما نتحدث عنه الحب بمفهومه الشامل والعام. والذي يضيق إلى أن يصل إلى الحب بين شخصين. ولكن في بداية الحب لابد للإنسان أن يبحث عن نفسه ويبحث عن روحه ويتصالح معهما ويبدأ بسلسلة الحب من نفسه.

(ابدأ بنفسك ثم بمن تعول) هذا حديث عن النبي ﷺ وهو يحضنا على أن نبدأ بأنفسنا أولًا أن نعولها ونكرمها ونحبها كي نتمكن من حب الآخرين.وهنالك مثال أقوى من القرآن الكريم (ربِ اغفر لي ولوالدي) فهنا قدم الإله الإنسان على والديه بالمغفرة.

على الرغم من الأحاديث والآيات التي تحض على البر بالوالدين ولكن البر يبدأ بأنفسنا. والبر هو المغالة بالحب بنفس راضية آي أن نشعر بالمتعة ونحن نمارس ذلك الطقس من طقوس الحب ... فلابد أن تبحث على الجانب المظلم في نفسك وأن تعمل على إنارته. لتتمكن من إنارة الجوانب المظلمة في حياة الآخرين. فالحب يكسر كل الأشياء القاسية ويذيب الحدود التي أوجدها البعاد والكره.

الحب طاقة عظيمة تمنحنا لنتمكن من منح الآخرين ....

شمس والتخرج ..

قد وصلت شمس إلى السنة الدراسية الأخيرة وهي الآن على أبواب التخرج. ولابد أن نقول أن شمسًا طيلة سنوات الدراسة الأربعة كانت متفوقة وفي مداخلاتها أثناء المحاضرات كانت مميزة في مناقشة المواضيع. فالزاوية التي تناقش منها شمس المادة الإعلامية من المستحيل أن يفكر أحد ما أن يشعل موضوعًا منها.

أسقطت شمس معاملتها مع الناس على مناقشتها لمواضيع الإعلام ففي كل موضوع إعلامي كانت تبحث عن الجانب المظلم فيه الجانب المهمل الجانب الذي كان خصبا ولكن التجاهل والإهمال أطفأه ..كان ذكاؤها ملفتًا للنظر ليس فقط ذكاء وإنما نظرة ثاقبة.

لم تهتم شمس لأحد فلم تكن تعتبر أنها مختلفة عن غيرها وأن تميزها هو فقط سببه الحب الخالص الصحيح. فترى أن الجميع يستطيعون أن يصلوا إلى ما وصلت إليه بل ويتجاوزونها بمراحل .. ولكنهم لم يتهيؤوا للحب ولم يسقوا تربة قلوبهم بعد ..لربما الخوف من القادم كان يجعلهم هكذا.

يجب ألا نفزع إذا طرق الحب بابنا فلنفتحه لنتأكد أننا أصحاء القلب. فالخوف من الحب هو أخطر من الحب نفسه وطرد فكرة الحب من القلوب هي ليست صائبة أبدًا وهنا يأتي الاختلاف.

أن تعتني بقلبك هذا لا يعني أن تطرد منه فكرة الحب فالقلب لا يكون جميلًا إلا اكتملت صورة الحب الصحيحة فيه وصورة الحب هذه لا نستطيع أن نصنع ملامحها أو أن نطهو مكوناتها كما نريد.

هي حالة فردية تختلف من قلب إلى قلب يتحد من خلالها قلبان في قلب واحد. فلا داعي عندها للشروح أو الكلام فهناك كلمات تقال دون حروف تلهب القلب وتشعله وتشعره انه ولد من جديد. ومن هنا لابد للإنسان أن يحسن لقلبه وأن يحسن لحبه وللبر والإحسان بالقلوب صور عديد ومتعددة وغير منتهية.

فعندما يكون قلبك صالحاً للحب تكون أنت صالح للحياة .. فالفرار من الحب لا يجدي نفعًا حتى لو كانت الظروف التي تكبل ذلك الحب قاتمة، فبالعكس كلما ازدادت قتامتها كلما أعش وشقت فكرة الحب وأصبحت ذات رائحة شهية تجبر القلوب على الرضوخ.

ومن مميزات الحب الصحيح إنه لا يشيب بل بالعكس كلما مرت عليه الأوقات كلما ازداد شبابا وكلما أصبح أكثر حلاوة ونضجًا وهذا الشيء يكون قطعي في الحب الحقيقي. شيء يشعل الرغبة بالحياة ليكون اليوم بآلاف السنين شيء يجعلنا نجري لنلتقط القمر لنضعه في حجر من نحب .. نلتهم حلوى الحب بكل شراهة وبكل قلب. فلابد أن نكون مستعدين لهجوم الحب في أية لحظة والخضوع والاستسلام وهذا كان محور حديث شمس مع عبير ....

تناقشت شمس مع زميلتها عبير وزميلها أحمد في الكلية والذين وقعا في حب بعضهما ولكن الفوارق الطبقية بينهما والبيئات المختلفة جعلت أحمد مترددا من التقدم لعبير وخائفًا.

جلسوا في كافتيريا الجامعة وقالت: شمس أعلم أنكما تحبان بعضكما منذ أن التقيتما أول مرة. فطاقة الحب التي جاءتني عند أول لقاء بينكما كانت طاقة عظيمة وقلت لابد لهذين القلبين أن يصبحا قلبًا واحدًا في يوم من الأيام. ولكن لابد لهما أن يفكرا جيدًا وألا يهتموا إلى رأي المجتمع. عبير أنا أحب أحمد وأعلم تمامًا أن أهلي لن يوافقوا عليه لأنه مختلف تمامًا ليس بالمستوى المادي وإنما الاجتماعي. أحمد من الريف وعائلته مرموقة ومعروفة ولكن أهلي يخافون من الغريب على الرغم من أن هذه الأمور لابد أن تكون قد زالت تمامًا.

شمس: حبيبتي عبير بما أنك تحبين أحمد استمتعي في هذه اللحظة ولا تفسدي لحظاتك بالتفكير بما سيحصل هل ستبقيان ام أن الأقدار ستفرقكما. حبيبتي عبير الحب نعمة من الله يضيء بداخلنا كل شيء يجعلنا نرى الحياة بشكل آخر. فنصيحتي لك أن تستمتعي بلحظاتك الراهنة. فالمستقبل لن تملكي منه شيء فهو بيد الله. والماضي الذي عشناه علمنا الكثير ولربما جعلنا أكثر صبرًا على هموم الحياة ... فالأمر لا يحتاج إلى كل هذا التفكير والتأمل والخوف لأنك تفكرين بما لا تملكين. أما اللحظة الراهنة هي ملكك وملك أحمد عيشوها بسلام. ولا تفكروا بالقادم

بقلق فبما أن الحب قد ربطكما فلن تفرقكما الظروف. كونوا بخير ولا داعي للتكهنات ... وقلبي يخبرني أن مسالة زواجكما سيخدمها قدر الله بلطفه لأن الله مطلع على قلوبكم وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. ثقي بالله يا عبير وكوني على يقين أن القادم أفضل، فهذا ظنك الذي لن يخيبه الله لك ولكن لابد أن تجتازي بعد العقبات ... ولكن كوني مطمئنة.

ثم ذهبت شمس وتركت أحمد وعبير يجلسان ويفكران بما قالته.

قالت عبير: يا الله وكأن شمس تحمل كرة بلورية وتقرا الاحداث القادمة. تقرأ بقلبها بحبها. يا الله يا أحمد كم احبك وأحببتك أكثر بعد كلام شمس.

ابتسم أحمد ابتسامة خجولة وفيها بعض الشقاوة: وأنا احببتك أكثر من ذي قبل. وكأني أراك عروسي التي تزفين إلي على حصان أبيض ... أتعلمين يا عبورتي سأقيم لك عرسًا رائعًا وأركب فرسًا أبيض وأحضر لك عربة زجاجية لتركبي فيها وكأنك سندريلا.

نظرت عبير إليه، وقالت: سندريلا؟

قال أحمد: نعم. حزنت عبير .. أحمد: هل قلت شيئا خطأ؟

عبير: لا ولكن سندريلا عانت كثيرا وأنا لا أحب أن أعاني.

ضحك أحمد وقال لها: لا تعقدي الأمور يا أميرتي.

ومضيا معا ...

الإنسان دائمًا يعيش في لطف الله وهو لا يعلم. فالأقدار التي نعتبرها مأساوية باطنها رحمة مطلقة. فما يؤرقنا ويفرحنا ويحزننا هو حلقة مفتوحة يكتشف فيها الإنسان مدى قدرته على استقلاب معطيات الحياة. فالإنسان لابد أن يعترف إنه مهما بلغت حكمته ستبقى تلك الحكمة ناقصة أو حتى مريضة أن لم ترتبط بالرضى المطلق بأقدار الله.

شمس: الحمد لله ها قد حصلت على الشهادة الجامعية بمعدل ممتاز وهذا من فضل الله .. سأبذل ما بوسعي لأعمل في مجال هذه الشهادة ويكون لي اسمًا مشهورًا في الإعلام ولكن لابد لي من الحصول على شهادة الماجستير والدكتوراه كما أني أحلم أن أكمل دراستي في فرنسا.

بدأت شمس البحث عن عمل في مجلة خاصة. قدمت السيرة الذاتية فيها. وحظيت بموافقة لان المقابلة كانت ناجحة جدًا. ومدير المجلة كان معجبا بجراتها ومناقشتها لأمور الإعلام.

استطاعت شمس خلال شهور قليلة من عملها في المجلة أن يكون لها زاوية خاصة فيها. تطرح الامور التي يخجل المجتمع من طرحها.وتثير مشاكل لا يجرؤ احد على مناقشتها مع نفسه. مما جعل القارئ مهتم بهذه الجرأة الكبيرة. فهدفها كان المساعدة لوقف الانهدام الاخلاقي في المجتمع. وكان جمهور المجلة يراسلون بريد المجلة ليكون للمحررة شمس فقرتين أسبوعيًا بدلًا من فقرة واحدة. لأن فيها العديد من الحلول للقضايا المكتومة في صدر المجتمع.

الأمر الذي جعل مدير المجلة الاستاذ جلال أن يستدعيها إلى مكتبه: أهلًا بالرائعة شمس أنا مدين لك بالجهود المبذولة من قبلك لأنعاش هذه المجلة وأنا من اشد متابعي فقرتك الأسبوعية. لن تصدقي يابنتي شمس كم أتذكر فيك شبابي وشغفي وطموحي ولكن يوجد فيك شيء مختلف ما هو .. حاولت أن اكتشفه ولكني فشلت ..

ابتسمت شمس ابتسامة خجولة وبرقت عيناها العسليتان، ووجنتاها أصبحت حمراء.

الأستاذ جلال نظر إليها وقال: ما أرق هذا الخجل. لم يخطر لي إنك تتمتعين بخجل من هذا النوع وكان عمرك أربع عشر عامًا ..

قالت له شمس: الحب.

جلال: ماذا حب ماذا؟

شمس: أن نجاحي في الحياة سره الحب فانا تعرفت على ذاتي واحببتها وتصالحت معها أنرت جوانبها المظلمة لكي أتمكن من إكمال رسالتي في الحياة.

جلال: رسالة ماذا.

شمس: رسالتي أن تصل السعادة إلى قلوب الناس من خلال الحب.

جلال: أنت تعيشين الخيال ..حب ماذا الذي تريدين أن تنشريه؟ سيري في الشوارع فكلها محبون. ومواقع التواصل مكتظة ازقتها بالمحبين المظلومين.

توقفت شمس عن الابتسامة وقالت: ليس هذا الحب الذي أبحث عنه أو أريد للناس أن تجده. كما قلت لك ياسيدي النقطة الأولى في آي نجاح أن تحب نفسك وتحب العمل الذي تقوم به أن تحبه بشغف محب محروم وعندما تحقق المشروع لابد أن تمثل من نشوة الانتصار. ما تراه في الشوارع ومواقع التواصل ليس حباً. هو نفخ باسم الحب الذي لا يعرفونه أصلًا ..

صمت جلال وقال: ما علينا. انظري إلى البريد الالكتروني للمجلة فهو ممتلئ برسائل الإعجاب بالمحبة شمس، يطالبون المجلة أن يكون لك فقرتين في الأسبوع. ماذا فعلت بهم أيتها الساحرة؟ .. أعطني عصاك السحرية لأفك قيودي.

ضحك جلال ضحكة خفيفة وقالت شمس: عصاي الحب وفقط الحب. كل الود أستاذ جلال وأشكر اهتمامك بي. وأعدك أن أكون عند حسن ظنك وظن جمهور المجلة. فانا اشعر بمسؤولية لكل حرف يقرأه آي شخص وأتمنى أن يصل الحب بكلماتي إلى قلوبهم.

جلال:بالتأكيد أنه وصل فانت محبوبتهم الخفية شمس. أخشى أن يطالب القراء بتغيير اسم المجلة إلى شمس. وضحك جلال ... وضحكت شمس وقالت: دعنا نعِش اللحظة. والقادم دعه لله.

شمس والحب القادم ..

ازداد نشاط شمس في الآونة الأخيرة، ولمع نجمها على الرغم من صغر سنها وكانت محط إعجاب الجميع. وهذا الإعجاب كان أنواعًا فمنهم من كان يخلط إعجابه بالغيرة مع التمنيات بالفشل والبعض كان إعجابه ممزوجًا بحب وغيرة مع التمنيات بالنجاح. وكان هناك إعجاب صامت مترقب لحظة انفجار تلك القنبلة الموقوتة في مجال الإعلام وبانتظار ساعة الصفر.

وفي يوم من الأيام استدعى مدير التحرير شمس إلى مكتبه.

دخلت وقالت: صباح الخير أستاذ جلال. لعل الموضوع خيرًا في استدعائك لي.

جلال: كل الخير يا إعلاميتنا المتميزة. أتعلمين أني أخاف أن تغادري هذه المجلة التي جعلتِ لها خلال فترة قصيرة وجود بين المؤسسات الإعلامية بل وأننا بتنا محط منافسة. ولكن يجب أن تعلمي يا ابنتي أني لن اقف في وجه طموحك أبدًا، وسأكون عونك وسأشد على يدك.

فرحت شمس كثيرًا، وقالت أستاذي العزيز هذه المجلة أصبحت الآن تمتلك روحًا خاصة فلو غادرتها أنا ستبقى هذه الروح موجودة. فهذه المجلة ليست مكانًا بالنسبة لي فأنا اتعامل معها كأنها حبيب لي، أحرص على صحته وسعادته.

هذه المجلة أصبحت ممزوجة بالحب، وهذا الحب لن يموت أبدًا، لأنه وصل إلى الكثير وتعلموا الطريقة التي يتعاملون فيها مع مرضهم فقرهم تعاستهم بالحب. صدقني أستاذي ستبقى هذه المجلة فتية إلى الأبد.

بدت علامات السعادة على وجه جلال، وقال: على كل هذا ليس موضوعنا. فرعنا في بيروت يعاني من صعوبات بسب إجازة مدير التحرير العارضة الذي أصابته وعكة صحية، وفي هذه الفترة المجلة لديها الكثير من الفعاليات. فانا اخترتك لتسيير أمور المجلة بدلًا عني.

اندهشت شمس وفرحت وأصبحت وكأنها ضياء، وكأنها تمتلك هالات تظهر في وقت الفرح العظيم.

قال جلال متابعًا: لن استغني عنك طويلًا. فالموضوع يتطلب فقط يومين وستأخذك سيارة المجلة وستبقى معك حتى العودة.

قالت شمس: ثقتك هذه ستدفعني إلى الأمام. وأعدك أني لن أخذلك.

جلال: كوني بخير شمسنا ستفتقدك المجلة. غدًا السابعة صباحًا كوني جاهزة واتمنى أن تكون هذه الرحلة موفقة. أنا أثق بك شمس.

خرجت شمس من المكتب وقلبها يتراقص من شدة الفرح وفي عينيها الكثير من الأحلام.

ذهبت شمس إلى المنزل وأخبرت والدتها بالسفر ولكن والدتها لم تكن مقتنعة ولكنها تعرف ابنتها جيدًا وثق بحكمتها ووافقت على مضد. وذهبت شمس لترتب حقيبة السفر وهي تغني وترقص وكأنها عروس.

شمس في لبنان ..

استقلت شمس السيارة إلى لبنان في السابعة صباحًا. وأمضت رحلتها مع أغاني فيروز. نزلت في الاستراحة واحتست كوبًا من القهوة ثم استكملت رحلتها. وصلت شمس في العاشرة صباحًا إلى المجلة ودخلت إلى مكتب السكرتير وأظهرت بطاقتها الإعلامية.

وقف ذلك الشاب اللبناني جاك، وقال: أنت شمس يالله هل انا في حلم أنت حقًا رائعةً يا شمس ورئيس التحرير السيد ميشيل معجب جدًا بك و بموضوعاتك وإضافاتك.

وطلب لها كوبًا من القهوة وأخذا يتبادلان الحديث.

انتهت من احتساء القهوة، وقالت: سيد جاك لا أملك الكثير من الوقت والعمل كما أخبرني الأستاذ جلال كثير جدًا ويحتاج إلى متابعة. أرجوك دعنا نبدأ.

فعلًا بدأت شمس باستكمال الأمور العالقة وكأنها تمتلك الكثير من الأيدي. وكانت نظرات جاك مليئة بالإعجاب والدهشة.

قال لها باللهجة اللبنانية: شو هيدا يا أستاذة شمس دوختيني أنت والله ما بلحق عليك اسم الصليب عليك.

ضحكت شمس وقالت له: أنا أشعر نفسي أني في مجرى نهر متفجر ويجب أن أجري وانقذ نفسي حتى لا أغرق ... فأباغت الوقت قبل أن يباغتني فأنا تخيفني المفاجآت مهما كانت جميلة.

ضحك جاك واستكملا العمل بشغف وجد.

قال جاك: ألم تتعبي ألم تجوعي أنا أكاد أن يغمى علي من شدة الجوع دعينا نطلب وجبات لنستطيع استكمال عملنا.

وافقت شمس واخذوا استراحة وتناولا الغداء في كافيتيريا المجلة فلا وقت لدى شمس للخروج إلى مطعم. أكلت شمس وعادت لتكمل ما بدأته كانت منهمكة مع جاك الذي حاول أن يساعدها بأقصى ما يملك وعند السابعة مساء طرق باب المكتب، قال جاك: تفضل ولم تنتبه شمس لشيء.

جاك: مسيو آدم أهلًا وسهلًا نورت المجلة. ولابد أن قدوم آدم لم يكن بمحض الصدفة ولا غياب ميشيل أيضًا، وكأنها القصة متعمدة لاستجرار شمس إلى بيروت. فآدم بعد الحالة النفسية التي أصابته بعد موت حبيبته جويل أصبح يائسًا، وفي مرة من المرات تناول المجلة التي كانت شمس محررة فيها.

وقرأ موضوعًا عن الفقد والإيجابية في التعامل معه، وعن امكانية تسيير النسيان في طريق صحيحة عندما قرأ آدم الكلمات شعر أن شمس عالجت كل النقاط التي لم ينتبه لها طبيبه النفسي.

وشعر بقلبه وكأنه تعافى وتسلل اسم شمس إلى قلب آدم وتمنى أن يراها ليشكرها على معروفها الذي بذلته دون أن تعلم.

كانت شمس كأنها في عالم آخر تمسك ورقة وتريد الذهاب إلى طاولة الكومبيوتر لترسلها بالإيميل ولم تنتبه لوجود مسيو آدم وراءها وعلى عجلة ارتطمت بآدم ووقعت الورقة من يديها، وقالت: يا ألهي أنا آسفة لم انتبه لوجودك المعذرة ... أنا شمس الحارث محررة في المجلة ولكن في فرع دمشق.

آدم: لا بأس، أهلين ست شمس على فكرة انا معجب بأسلوبك وفعلًا منذ فترة اكتسبت المجلة روحًا جديدة لابد أنها روحك الجميلة يا جميلة.

ونظر آدم بعينيها، وقال: آدم سعد رجل أعمال.

واستأنف جاك ترحيبه بمسيو آدم. بينما انصرفت شمس لإرسال الإيميل. لم تنصرف نظرات آدم عن شمس ولكنه كان حريصًا كل الحرص ألا تنتبه له شمس، كان يناقش جاك وعيناه تلاحقانها.

انتهت شمس من أعمالها على الكومبيوتر وجلست على الكرسي المقابل لآدم وبنفس الوقت مقابل جاك ولكن من جهة أخرى.

سال آدم شمس: هل أعجبتك بيروت ديموزيل شمس؟

شمس: بالحقيقة هذه أول مرة أزور فيها بيروت وبصراحة جئت من دمشق إلى المجلة مباشرة وبعد غد سأعود إلى دمشق بإذن الله.

آدم باللهجة اللبنانية: معناها بنكسبك بكرة عالغدا عند صخرة الروشة. ما معقول تجي بيروت وما تشوفيها.

شمس: أنا أعتذر أستاذ آدم ليس لدي وقت لغداء أو غيره حتى أني لن أستطيع أن أتسوق. اعتذر للمرة الثانية مسيو آدم ...

آدم: ما بقبل أنت ضيفتنا شو بدكم تقولوا عنا بخلاء. ما حبيتا منك ديموزيل شمس. لا يوجد نقاش سآتي غدًا، واصطحبك إلى أجمل مطعم في بيروت عند صخرة الروشة.

خجلت شمس كثيرًا، ولم تعلم ماذا تجيب، وقالت له: سأكون بانتظارك أنت أحرجتني بلطفك فعلًا واحمرت وجناتها من شدة الخجل ..

ذهب آدم وهو يتلفت، ويبتسم لشمس وغمزها غمزة خجولة وضحكة صغيرة عالرغم من صغرها إلا أن الغمازة في خده الأيمن أيضًا غمزت قلب شمس .. التي أخذت تفكر كثيرًا بملامح ذلك الشاب الأسمر الطويل الواثق بنفسه جنتل مان، لطيف جدًا وخصوصًا مع الجنس اللطيف. عيناه تضحك وتحاور حوارات عشق لامست قلب شمس التي اعتادت على تلك الاشياء في عملها ولكن آدم كان مختلفًا جدًا، وكانه طبع بصمة الحب على قلب شمس ومضى.

شمس وآدم عند صخرة الروشة ..

جاء اليوم الثاني وكانت شمسًا كالعادة كتلة حماس وشغف تريد أن تحل الأمور العالقة. وكان جاك متعاونا جدًا وهو بدوره كان معجبًا بشمس المتألقة والتي لم تشعره للحظة أنها ليست سوى امرأة عادية. وفي اليوم التالي عند الساعة الواحدة ظهراً انهت شمسا ٩٠% من الاعمال ولم يتبق إلا القليل. كانت راضية نوعًا ما عن النتيجة. وقالت ربما أنا بحاجة لساعتين لأتم بقية الأمور. واستأنفت نشاطها وطبعًا فنجان القهوة رفيق شمس الوفي.

كان حبيبها الذي يعطيها طاقة إيجابية لذلك لم تسمح له في آي وقت أن يكون هذا الفنجان فارغًا. وفي تمام الساعة الثالثة وصل مسيو آدم وفتح الباب وهو يرتدي بدلة رسمية رمادية وبيبونة حمراء كان بمنتهى الأناقة. بينما شمس كانت بزيها العادي البسيط.

دخل آدم قائلًا: يعطيكم العافية شهلتوا بالشغل.

شمس وجاك: الحمد لله لم يتبق الا القليل. أنجزنا انجازًا ناجحًا ... والفضل لديموزيل شمس.

ابتسمت شمس الفضل لله فقط.

آدم: تفضلي عزيزتي من المؤكد أنك جائعة.

شمس: انا جائعة جدًا وأظن أني سأطلب الكثير من الطعام فهل أنت جاهز لتحمل اعباء الفاتورة.

آدم: أنا والمطعم على حسابك ديموزيل. بس المهم ما تأكليني .. ضحكت شمس وآدم. فقالت له: هل تراني متوحشة إلى هذه الدرجة؟ فلم يصدف وأن تناولت لحوم البشر.

قال آدم: ولكنك تلتهمين قلوبهم.

قالت شمس: عفوًا.

آدم: طبعًا تلتهمينها بكلماتك أيتها الشرهة

وضحك آدم وقال: لها ارجوك اعتادي علي فانا أمزح كثيرًا.

صمتت شمس وضحكت وقالت: هيا بنا ...

ركبت شمس مع آدم في سيارته الفارهة وانطلقا إلى المطعم. وكان الحديث في السيارة عن جمال بيروت وطرقاتها وأسواقها حتى وصلوا إلى الروشة. ودخلا المطعم. وأخذا مكانًا مميزًا إطلالته رائعة. وبدأت شمس بالنظر إلى البحر. وانعكاس الشمس على مائه.

- أترى مسيو آدم قصة الحب.

آدم: آي قصة حب ..

- انظر إلى البحر وهو يغازل الشمس. والشمس من شدة خجلها تغرق فيه.حتى يأتي الليل ويكتمل ذلك العناق حتى الصباح ...

ظل آدم صامتا.

قالت شمس: مسيو آدم أين شردت.

قال لها: بتحليلك.

تصوري أني آتي إلى هنا كل يوم واستمتع بمشاهدة هذا المنتظر ... وأشعر بالحب عندما أراه. ولكن لم يخطر ببالي ولو لمرة أني اراقب قصة حب حميمة أو أن افلسف الأمور بفلسفتك الخاصة، فالشمس غرقت والغرق يعني الموت المحتم، ولكن الغرق بالحب يجعل الشيء حيا آهً يا شمس كم أنت رائعة. أين كنت منذ زمن لماذا تأخرت بالوصول؟ كم احتجت لفتاة مثلك أن تقف إلى جانبي؟ وامتلأت عيون أدم بالدمع وتجاهل تساؤلات شمس التي لم تكن حشرية ابدا فالوقت كفيل لتعلم جرح آدم. استأنفت شمس كلامها ...

إذا أردت مسيو التحديق في كل المظاهر الكونية أو غير الكونية، الأشياء البسيطة في الحياة. إذا دققت ستوقن أن كل ما يحدث في هذا الكون هو عبارة عن حب خالص. حب لن يشعر به إلا من لا يحمل في قلبه غلا على أحد.ولا يعتبر نفسه أنه افضل من الآخرين. فنحن كلنا تحت سماء واحدة. السماء سقفنا فلماذا التعجرف والتكبر. اتعلم مسيو آدم ماهي مشكلتنا في المجتمع.

آدم: ما هي؟

شمس: أن مفهوم الحب مغلوط وجدًا. كل إنسان في الحياة يريد أن يعيش حباً على طريقته. ولو كانت هذه الطريقة مؤذية للآخرين. من

يؤذي الآخرين بمصطلح الحب المغلوط. هو بالحقيقة يؤذي نفسه أولًا. وصدقني الأذى الواقع على الآخرين هو أخف وطأة ..لأن ممارسته غير صحيحة .. وذلك لأنهم لم يضعوا أسس حب ثابتة، وحقيقة، وراسخة، وصحيحة، فنحن اعتدنا الأذى إلى درجة لم نعد نفكر بالتغيير.

آدم: أخذنا الوقت ماذا تريدين أن تأكلي؟

قالت شمس: أنا ضيفتك اختر لي طبقًا شهيًا. فانا جائعة وجدًا.

قال آدم: أنا أحب السمك سأختار لك طبقا لن تنسي طعمه ما حييتي.

شمس: أتمنى ذلك ...

بدءا بتناول الطعام وكان شهيًا ولذيذًا كما وعد آدم. ثم احتسيا شاي أخضر. ثم احتسيا القهوة وهم يتبادلون أحاديث عامة.

نظرت شمس في الساعة وقالت: يا الله إنها الخامسة لقد تأخرت أرجوك أن توصلني إلى المجلة لأنهي التزاماتي. ثم سأذهب إلى الفندق لأرتب حقيبتي وانطلق الساعة السابعة صباحًا.

آدم: زيارتك قصيرة جدًا وأتمنى أن تكون الزيارة القادمة طويلة لآخذك رحلة سياحية ونركب التلفريك ومغارة جعيتا أنا دليل سياحي جيد عزيزتي ...

- وأنا ادعوك مسيو إلى دمشق واعدك انها ستكون زيارة مذهلة وسأكون دليلة سياحية متواضعة ... اتفقنا؟

آدم: اتفقنا ...

عادت شمس في اليوم التالي إلى دمشق وانطلقت إلى المجلة حيث قابلها الأستاذ جلال بحفاوة وتقدير. وشكرها على جهدها المبذول في دعم المجلة. وقال لها: سأصرف لك مكافاة ولكن جهودك لا يكافئها شيئًا.

فرحت شمس كثيرًا واستمرت بعملها بنفس الشغف وازداد بريق شمس في سماء الإعلام والصحافة.

في عصر أحد الأيام كانت شمسا مشغولة كالعادة. طرق باب غرفتها فقالت: تفضل. وظلت مشغولة دون أن ترفع راسها لترى من الطارق. طرق القادم بمفتاح سيارته على بلور المكتب فرفعت شمس رأسها، وكانت مفاجأة لم تكن بالحسبان.

- بونسوار شمس.

أستاذ آدم: فاجأتني لماذا لم تتصل بي لتخبرني بقدومك.

آدم: أردت أن افاجئك.

شمس: لقد فعلت ولكني انفر من عنصر المفاجآت حتى ولو كانت سعيدة كهذه.

ضحك آدم وقال: اشكر لطفك غاليتي. اتسمحين لي بالجلوس.

- طبعًا بالتأكيد تفضل.

- اشتقتلك شمس.

شمس: تشتاقلك العافية.

آدم: فعلًا اشتقت لك وجدًا. لقد أحدثت هنا شغبا، وأشار إلى قلبه.

احمرت وجنات شمس وانقلب لونها الأبيض إلى أحمر.

- فعلا أصبحت كالشوندرة.

شمس: لا أعلم ماذا اقول؟

آدم: ألم تشتاقي لي؟

شمس: مممممممم وتنهدت تنهيدة طويلة. ما رأيك أن تشاركني قهوتي؟

زم آدم فمه ونظر آدم في وجه شمس: موافقًا.

ساد الصمت الغرفة وكأنهما امتنعا عن أخذ الأنفاس .. وتناولا القهوة بصمت مخيف. ونظرات متبادلة وتائهة. ولأول مرة لم تشعر شمس بطعم القهوة. وتساءلت لماذا؟ والقهوة حبيبتي ... لماذا فر الطعم من شفاهي، ما الذي جرى؟

وظلت شمس تتساءل ....

آدم في احضان دمشق ..

- جئتك يا شمس لتفي بوعدك. اجازتي في دمشق ثلاثة أيام وأنا حر من آي عمل. أريد أن أعرفك أكثر أريد أن أحدق في ملامحك وانت في حضن وطنك. الآن أنت أجمل يا شمس تصدقين ذلك. لقد وهبتك دمشق من ياسمينها وماضيها المعتق بسحر الشرق بالفعل تمتلكين سحراً أخاذا. اتسمحين لي أن ألغي الألقاب. أنا آدم .. وأنت شمس.

- بكل سرور بالفعل آدم الألقاب لم تخلق لنا. فالبشر من المفروض أن كل ما يمارسونه في الحياة ليعيشوا حياة كريمة، يمارسونه بدافع الحب. فالحب يزيل الحواجز والحدود فالأجدر به أن يمحو كل الألقاب.

آدم: فعلا لأني أحبك سأنتزع عنك كل الالقاب. فانا اغار عليك من الألقاب.

ضحكت شمساً ضحكة خجولة وقالت: لا تسقط كلامي على نفسك.

قال آدم معترضا: أولست أنا من البشر. فلماذا لا تريدين أن تسقطي كلامك عليّ ...

صمتت شمس وقالت له: أنت ماكر حقًا وأنا لا أستطيع مجاراة حاذق مثلك ولن اقدر عليك أبدًا ... على كل أنا سأنهي عملي في تمام الرابعة.

سأنتظرك هنا لنذهب لتناول طعام الغداء في الربوة. وانا على يقين انك ستكون مسرورًا.

أدم: بما أنك ستكونين معي فمن المؤكد اني سأكون مسرورًا ...

قالت شمس: كلامك يشعرني بالخجل.

قال لها: وأنا اعشق المرأة الخجولة.

وضع يده على كتفها وعصره، وهمس في اذنها: لا تغلقي بابك للحب ... كوني بخير. سأنتظر الرابعة بفارغ الحب.

تفاجأت شمس من العبارة، ولكنها كانت مضطربة على غير العادة ... فكرت شمس بالموضوع ونظرت إلى شكلها في المرآة وتمعنت جيدًا في ملامحها. وشعرت في تلك اللحظة إنها قد نسيت ملامحها. فهي تخرج في كل صباح دون أن تضع مساحيق المكياج وتضع حجابها بطريقة روتينية. ولم تكن تعطي لأنوثتها آي حق.

كل وقتها كان مكرسًا لعملها والماجستير الذي كانت تطمح أن تحصل فيه على الامتياز لتكمل الدكتوراه ...

فكرت قليلا وقررت أن تغادر العمل باكرًا لتتهيأ للقاء مسيو آدم الذي تجاهلت اهتمامه ونظرات الود والحب اتجاهها ... فعلا عادت إلى المنزل وأخذت دوشا ووضعت بعض المرطبات على وجهها ليبدو أكثر نضارة. وأخذت تبحث عن ثياب مناسبة لهذا الموعد الذي لم تستطع أن تقرر صيغته فهو ليس موعدًا غراميًا فآدم بالنسبة لها شخص غريب لا تعلم

عنه شيئًا ولا موعد عمل لأنه رجل أعمال وهي صحفية فاعتبرته موعد مجاملة ورد عزيمة غداء لا أكثر ...

ارتدت فستانا أبيض عليه وردات لونها بنفسجي ووضعت الحجاب بطريقة مختلفة ووضعت القليل من الكحل في عينيه وبعض أحمر الشفاه الذي لا يكاد يرى. وانتعلت حذاء أبيض بكعب عالي وحملت جزدان بنفسجي ووضعت نظارات شمسية. وذهبت للقاء آدم.

التقته على باب المجلة كان ينتظرها أن تخرج من البناء فتفاجأ أنها تنزل من سيارة أجرة وأقبلت عليه.

شمس: الحمد لله لقد وصلت على الموعد. كيف حالك آدم؟

آدم كان مذهولًا بشمس ووقف متسمرًا في مكانه. وقال لها: أهلًا شمس كم أنت جميلة. الأبيض يليق بك. كم أنت شفافة وناصعة في ذات الوقت .. ما أجمل الفستان عليك والكعب العالي.

شمس لم تعتد على الغزل من أحد وخصوصًا من رجل بمواصفات آدم. رجل أعمال وسيم وجذاب وثري ومن المؤكد أن في حياته الكثير من النساء. ولابد أنها طريقته في التعامل معهن بأسلوب الغزل والإعجاب فهو يتعامل مع الجنس اللطيف بلباقة.

ردت شمس وهي تقطر خجلًا: أشكرك ولا أعلم ما أقول لك وماهو الرد المناسب. فأنت أول رجل التقيه وأخرج معه بهذه الطريقة.

وأهلمت موضوع مصطفى فهو في الجزء المهمل من ذاكرتها.

وبعد الذي فعله بشمس سقطت عنه صفة الرجولة وفعلًا هي الآن تخرج مع رجل حتى يثبت العكس ...

أعلم اني أبدو حمقاء أمامك وستستغرب من وجود الاختلاف بين شخصيتي في العمل وشخصيتي في الواقع.

رد آدم مقاطعًا بالعكس: كم اعشق هذا الخجل الذي اندثر عن النساء في هذا الوقت؟

وفعلًا أستغرب من وجود فتاة تخجل من كلمات الغزل كنت أعتقد أن هذا بات من المستحيلات.

- ولكنك يا شمسي أنت دحضت كل هذه الأوهام. تفضلي اركبي في السيارة. فانا أتضور جوعًا.

ركبا السيارة وتبادلا الحديث عن الحياة والعمل والمشاق حتى وصلا إلى المطعم الذي اختارته شمس. هو مطعم يكاد أن يكون شعبيًا ولكنه يقدم طعام لذيذ. وهو يقع عند نهر بردى وتوجد فيه أشجار وأزهار وورود يشبه شمسًا من الداخل.

آدم: هيا أخلعي نظارتك اشتقت لعينيك.

ضحكت شمس وخلعت النظارة ونظرت في عيني آدم التي شبت فيها حرائق الحب.

- ما أجمل هاتين العينين وأني أحسد نظارتك.

تجاهلت شمسا الكلام وطلبت الطعام. وبدأ بتناول الطعام بكل صمت.

وآدم لم يستطع أن يخفي الحب في عينيه. فهو ذلك الرجل الذي اعتاد على تسابق النساء عليه ليحظوا بكلمة منه أو تناول فنجان قهوة برفقته.
على العكس من شمس التي كانت غير مكترثة له وتتعامل معه بلطف وبرود بآن واحد.

آدم: هل يوجد حب في حياتك يا شمس.

شمس: نعم أنا كل حياتي حب وقلبي دائما مملوء بشحنات الحب.

قال آدم: لا اقصد الحب العام. هل يوجد رجل في حياة شمس..؟

قالت شمس: لا. ليس مهمًا أن يكون هناك رجل في حياتي لأشعر بالحب.

آدم: ولكن يا شمس أنت أنثى مكتملة ولكن اكتمالك ينقصه حب رجل. فهذه فطرة يا شمس وانت تتجاهلين هذه الفطرة.

شمس: الفطرة يا آدم كما قلت تأتي ناصعة صادقة وصدقني هذه الفطرة أن أتاها حب ليكملها لن تركله.

آدم: لا أفهم كيف لفتاة متميزة مثلك ولها ملايين المعجبين. وتقابلين الكثير من الرجال، ولم تسمحي لقلبك أن يخفق خفقة خاصة. أنت تكابرين وصدقيني أنت تحجبين نور الحب عن قلبك حتى لا يمنعك هذا الحب عن استكمال نجاحك وتحقيق أحلامك. فلربما تجدين ذلك الشخص الذي يكملك ويكون نصفك الثاني ويدفعك إلى الأمام أكثر.

ضحكت شمس وقالت: دع النهر يجري في مساره ولا تحاول أن تقطع ذلك المسار. فهو أن وجد مسارًا آخر مناسبًا ومغريًا سيسلكه من تلقاء نفسه فالحب لا يأتي عنوة.

آدم: كم أنت عنيدة يا شمس ...

ضحكت شمس: بل أنا صادقة مع نفسي.

آدم: وإن أحببت ستكونين كاذبة ... ما هذا الهراء؟

شمس: لماذا الغضب دع الأمر للأيام؟

آدم: ليس غضبًا وإنما استفزاز.. هل أنت مستعدة للحب يا شمس وللارتباط؟

صمتت شمس وتابعت أكلها.

أمسك آدم يدها بقوة وقال: انظري في عيني جيدا ارتبكت شمس ونظرت إليه، وهي تتنفس بصعوبة ثم وضعت نظرها في الأرض ..

- ماذا تريد آدم ...

- شمس الذكية تسالني ماذا أريد؟ .. أقسم لو أني كنت مع فتاة عمرها ١٨ عام لعلمت ما أريد.

قالت شمسًا: ولكني لست ١٨.

ترك يدها بغضب وقال لها: شمس أريدك زوجة لي ...

لم ترد شمس عليه وبدت نظرات الدهشة المخضبة بالأنوثة المكتملة. لم تعرف ماذا تجيب.

انتهيا من تناول الطعام واوصلها إلى بيتها، قال لها: أشكرك كان لقاء جميلًا أرجو أن تفكري جيدًا بموضوع الارتباط عزيزتي شمس.

نزلت شمس، وقال آدم: انتظري وقف معها ونظر في عينيها، واقترب من وجهها حتى شعرت بحرارة أنفاسه، وشعر بحرارة قلبها فاختلس قبلة من شفتيها على حين غرة وتركها، وهي تضع يدها على فمها وتنظر بدهشة وخوف اتجاه آدم.

دخلت بيتها وتمددت على سريرها وهي تفكر بتلك القبلة ... التي سُرقت من شفاهها. شمس تعرضت للسلب وهي واقفة، وتساءلت لماذا انتابها الهلع من فكرة الحب؟ فالحب شيء جميل. وهي لن تستطيع الكذب على نفسها بأن آدم لامس قلبها وحاولت الكتمان حتى لا تتزعزع شخصيتها أمامه وقالت في نفسها: الحب المرتبط بالزواج بالتأكيد هو أجمل درجات الحب. فهو محمي بهذا الميثاق المقدس. وأحب أن أمارس طقوسه بكل طفولة.

نعم، فانا أحب أن استيقظ على قبلة تداعب جبيني، وعلى حركات تستفزني لأنهض. ورشفات من القهوة تتخللها تنهيدات ونظرات. أريد رجلًا يستطيع أن يحتوي طفولتي. يصفق لي إذا رقصت على طاولة الطعام. ويشاركني اختيار أحمر شفاهي وأنا أطبع بكل لون قبلة على وجهه ثم ينظر بالمرآة. ويكون ممنونًا لتلك الألوان.

وأن يشاركني باختيار طلاء الأظافر حتى يجد أظافره أن كل أظفر بلون مختلف ثم ننفجر من شدة الضحك.

نعم اريده ابا اخا صديقا قبل أن يكون زوجًا. وأنا أظن أن آدم هكذا. فملامحه فيها كل الحب والقوة والكبرياء. آه ياربي لقد وقعت في حبه ولا أعلم كيف سأعالج الأمر. فبدأت بكتابة رسالة الكترونية لآدم.

"العزيز آدم اعتذر للحماقة التي بدرت مني، وأنت تخبرني بأنك تحبني. فالشعور الطبيعي لأي أنثى يخبرها شاب وسيم مثلك بحبه أن تفرح بل وإن تطير فرحًا، وأن تشعر أن الكون على الرغم من اتساعه ضيق على حبها ... ولكن انتابتني نشوة انتصار التي طغت على فرحة الحب.

فلم استطيع تبرير لماذا جرى ذلك؟ فهذا الشعور لم استطع أن افهمه، وكأني كنت على مراهنة انك ستخبرني بذلك، دون أن افكر بأني أحبك أم لا. فوضعت قلبي وأجريت معه تحقيقًا فأخبرني إنه بدأ بتبادل رسائل الحب مع قلبك منذ كنا في بيروت. دون إذن أو دون أن أكون على علم. عزيزي آدم أعذر حماقتي فكل الموضوع أني خشيت من شعور نشوة الانتصار، ومن أجل ذلك أعدت ترتيب الموضوع ووجدتني شمسا تغط في بحر الحب أنت البحر يا آدم. ولابد أني غرقت فيك أكثر لأغط معك في حب عميق".

لم تفكر شمس بالاعتذار من الأستاذ جلال التي تكلمت معه بطريقة غير لطيفة تحت تأثير الصدمة وغطت في نوم عميق تنتظر رد آدم بفارغ الصبر.

آدم ..

شاب من عائلة ثرية درس إدارة أعمال ليشارك أباه في إدارة شركاته العالمية التي اكتسحت كل قطاعات الحياة تجارة استيراد وتصدير فن ثقافة إعلام جامعات ومدارس خاصة.

فهو من عائلة مرموقة في لبنان .. أحب زميلته جويل وجويل أحبته .. كان يمضيان وقتهما كعاشقين لا يشبعان من النظر في بعضهما.

جويل فتاة مثقفة جميلة شعرها أحمر عيناها زرقاوان. شديدة البياض تكاد عروق جسدها تشف من شدة نقائها. كانت تنتمي جويل إلى عائلة مسيحية متعصبة. فالحروب الطائفية في لبنان على الرغم من انتهائها من زمن طويل إلا أنه في قاع النفوس يوجد نفور ما لا سيما ممن شهد تفاصيل هذه الحرب.

جويل نشأت ضمن حي يوجد فيه كل الأنماط. المسلمون السنة والشيعة والدروز والمسيحين. كاثوليك واردوثوكس ... لم يشعر جيل جويل بهذا الاحتقان الديني، ولكن أهل جويل لايزالون يحتفظون بتلك النعرات الطائفية.

آدم: جويل انا أحبك كثيرًا.

- وأنا كذلك يا آدم .. صدقني أنت كروحي، أنت يسوع قلبي. ومريم روحي ... أعلم علم اليقين أننا لا نستطيع الزواج. ولكن يكفي أن تبقى موجودًا بالقرب مني. يكفي أن نكون معًا تحت سماء واحدة ونتنفس هواء واحدًا. يكفي أن تكون أنت ...

آدم: ولماذا لا نستطيع أن نتزوج يا جويل. ألسنا حبيبين؟ ألسنا مخلصين؟ أنا لا أتخيل أن تلمسني فتاة غيرك. أن يشاركني سريري وفرحة عمري سواك. أن كان الزواج سيحرمني منك. فانا لا أريده .. ولكني احتاجك وبشدة ياجويل.

جويل: انظر آدم أنا احبك واتمنى أن تعيش وتتزوج. وتنجب ولدًا يشبهك فنحن لا نعلم .. لابد أن تزول هذه النعرات ونجتمع لاحقًا.

آدم: ما هذا الهراء. أريدك فقط ولا فتاة أخرى، وضمها إلى صدره. وبدأ بتبادل القبلات الحميمة .. وبدأت جويل بالبكاء. بكاء لا صوت له. لم يشعر به سوى آدم. أحرقه ذلك البكاء الذي لا يبكي.

أمسك يدها وبقوة وقال لها: جويل أنت لي، هل أنت مستعدة أن تكوني معي طوال العمر.

جويل: ولكن اهلي سيرفضون.

آدم: وأهلي كذلك فلابد أن أتزوج صبا ابنة عمي لأحافظ على الثروة .. أنت ثروتي ساترك كل شيء لنكون سويا. هل أنت واثقة بانك تريدين البقاء معي.

جويل: ولكن أدم ...

وضع آدم يده على فمها وقال لها: تذكري فقط حبنا.

جويل: ما الحل آدم.

آدم: طبعا الهرب والسفر بعيدًا عن هذه التقاليد البالية.

جويل: أتريد أن اهرب وأجلب العار لأهلي.

آدم: جويل العار هو عار العقل والتفكير ... عار التقاليد ففي ديننا قال النبي عليه السلام: ما أرى للمتحابين إلا الزواج، ولم يذكر الديانة. ثقي فيني جويل.

جويل: أنا أثق بك آدم.

سأحجز تذكرتين إلى قبرص في نهاية الأسبوع. واحسمي أمرك. وأنا موافق على اختيارك. ولكنك اختياري يا شمس حياتي.

بكت جويل وقالت: انا خائفة.

آدم: لا تحلو الحياة إلا بالخوف والمخاطرة. كيف لإنسان ألا يستطيع أن يقرر مسالة زواجه. ويترك الاختيار للمجتمع. أنا اتخذت قراري. وبقي أن تتخذي قرارك أنت وتخبريني. فانا أملك أرصدة في البنوك الاجنبية تكفيني لتأسيس بيت وشركة. سنسافر بعدها إلى كندا ونعيش هناك. لا تخافي حبيبتي. ثقي بي ...

امسكت جويل يد ادم وقبلتها وقالت: اثق بك آدم. وسأذهب معك إلى آخر الدنيا.

وأمسكت الصليب الذي في رقبتها وقبلته، وقالت: فليسامحني الرب.

آدم: أنت لم ترتكبي أثما يا جويل حتى يعاقبك الله وحتى لو ارتكبت أنت بشر ولست منزهة. الرب يريد لعباده أن يعيشوا بسلام روحي ليتمكنوا من حب بعضهم البعض. لا تظني يا جويل أن الله يتعقب عثراتك. حشاه أن يكون ذلك. هو ارحم فيك من أمك وأبيك وعائلتك. وأنا متأكد أن الله سيبارك هذا الزواج. ويمنحنا ثمرته أطفالا رائعين سنعلمهم كيف يعيشون ...

قالت: جويل اتمنى ذلك.

في صباح الأحد وصلت رسالة لجويل: وهي في الكنيسة وهي تؤدي آخر صلاة في الكنيسة التي في حيها مع أبيها وأمها وأخيها. وأشعلت شمعة لعل الله يجمعها بحبيبها بسلام ...

بعد أن انتهت من الصلاة نظرت في الموبايل. رسالة من آدم تقول: السفر يوم الثلاثاء في العاشرة صباحًا ...

سألت أم جويل: لماذا بدا عليك الارتباك. ماذا يوجد في الرسالة؟

قالت لا شيء: كريستين تخبرني أن احضر نفسي لرحلة إلى الجبل لمدة يومين. يا إلهي عندي الكثير من الأعمال لأقوم بها.

ابتسمت ام جويل وقالت: (موفقين يا بنتي).

عاشت جويل لحظات الوداع، وهي تشعر إنها ستترك منزل أهلها. ومن الممكن أن يهدروا اهلها دمها ...ويقاطعونها .. ولكن وماذا في ذلك؟

آدم سيكون أبي وأمي وأخواتي وحبيبي وعشيقي، ماذا أريد من الدنيا أكثر من ذلك. فقط أريد آدم لا أحد غيره.

جاء يوم الثلاثاء الساعة السادسة صباحًا. كان آدم ينتظرها على ناصية الشارع. حملت معها حقيبة صغيرة كي لا تثير الشكوك. التقت بآدم وهو كتلة من الحب. وقال لها: وأخيرًا ستكونين حلالي وستشاركينني فراشي .. هل أنت مستعدة يا عروس.

بدا الخجل على جويل وقالت: أرجوك أنا مضطربة وقلبي مقبوض وأنا أصلي طيلة الليل أن يسامحني الرب.

قال لها آدم: من الطبيعي أن تخافي، فأي عروس تخاف من ليلة الدخلة.

قالت جويل: الأمر ليس كذلك دعنا ننطلق إلى المطار فلن أشعر بالأمان إلا عندما أصبح خارج لبنان.

ركبا السيارة وبدا الاضطراب على آدم. هذا الاضطراب الذي تسلل من جويل إلى قلب آدم. كانا صامتين طيلة الطريق وكان الطريق شبه خالي من السيارات لولا المقطورة التي فقدت اتصالها بالشاحنة الرئيسية التي حطت على سيارة آدم وجويل وجاءت سيارات الاسعاف لتنقذ المصابين. فكل من رأى السيارة كان على يقين انه لن يخرج منها أحد حيا ...

وصلت سيارات الإسعاف إلى المشفى. وتم التعرف على ضحايا الحادث من خلال الجوازات وتذاكر السفر ...

- الطبيب يا إلهي ما هذا.

- المسعف مقطورة اقتحمت سيارة سياحية. ومن الواضح أنهما عروسان ذاهبين ليمضيا اجازة في قبرص. ولكن حالة الفتاة سيئة جدًا وفقدت الكثير من الدم وتحتاج إلى تعويض. والشاب يبدو أنه أفضل حظًا فهو لايزال واعيًا وينادي جويل هل أنت بخير ...

- هيا ادخلوا الفتاة إلى العناية المركزة فقد توقف قلبها.

بدا قلب جويل يفقد نبضاته النبضة تلو الأخرى. وهي تلفظ أنفاسها لم تنسَ نظرة آدم وهو يشد على يدها ويقول لا تخافي فقط ثقي انك فعلت الصح لقلبك. وفي تلك الاثناء نظرت جويل يا إلهي آدم انظر المقطورة افلتت من الشاحنة تفادها ... آدم آدم انتبه. وصرخ آدم يا إلهي لا استطيع أن أسيطر على المقود، حتى حطت المقطورة وأنهت كل شيء.

الصدمات الكهربائية لم تفلح بإعادة قلب جويل إلى الحياة.

ماتت جويل والابتسامة على وجهها وكأنها تقول لو استطاعت أن تعيد الصدمات قلبي إلى الحياة فسأخسر آدم فليذهب قلبي إلى الله نقيا مطهرًا من كل الآثام فهو يعلم أن قلبي لم يتعمد إيذاء أحد وداعًا أيتها الدنيا وداعًا آدم ...

أطلق جهاز المونيتور صفارة طويلة مؤذنا بموت جويل.

قال الطبيب: لقد خسرناها.

وغطوا وجهها بالشرشف الأبيض وكأنها عروس زفت إلى الجنة ..

في تلك اللحظة صرخ آدم صرخة هزت المشفى: جويل لا تتركيني خذيني معكِ أرجوك.

هرع الاطباء ليقيسوا النبض والضغط.

قال لهم: ماتت جويل أليس كذلك؟

فأجابه الطبيب: أجل ماتت ..

- لقد شعرتُ بخروج روحها من جسدي وهي تقول إلى اللقاء يا آدم.

صمت الطبيب وقال له: البقاء لله. كان وضعها صعباً جدًا. والموت كان أفضل شيء في حالتها.

صرخ آدم وبكى: اريد أن أراها، أريد أن اودعها ...

قالوا له: لا تستطيع السير فلديك كسر في الفقرة القطنية الثالثة .. ارجوك أهدأ واعطاه إبرة مهدئ في الوريد.

فخلد آدم إلى النوم والدموع على خديه ...

علمت كريستين بالحادث الذي جرى وهي على علم بسفر جويل وكانت تشجعها لتسير وراء قلبها ... ولكن المشفى كان سباقًا بالاتصال بأهل جويل.

المشفى: ألو منزل الآنسة جويل معقد.

ام جويل: نعم هنا خير يا ابني.

- اريد أن اخبرك خبرًا سيئًا.

- ابنتك جويل في ذمة الله، قضت نحبها في حادث سيارة انفلتت مقطورة على السيارة واودت بحياتها.

انفجرت أم جويل بالبكاء.

- وكيف حال صديقاتها كريستين وماجي وجوزفين.

- عمن تتحدثين سيدتي.

- اتحدث عن رفيقاتها فهم كانوا ذاهبين في رحلة إلى الجبل ارجوك أخبرني.

انقطع خط المشفى فجأة ....

وقرع جرس بيت جويل. فتحت ام جويل الباب وهي تبكي.

- كريستين!! ألم تكوني مع جويل في الرحلة؟!

صمتت كريستين ودموعها تنهال من عينيها.

- الصبر يا خالتي انه قضاء الله وقدره. اصبري فروح جويل في الجنة.

- أخبريني كيف جرى الحادث.

مسحت كريستين عينيها وقصت القصة على أم جويل التي لم تعد تعلم هل تبكي عليها .. أم تبكي حظها من الفضيحة.

كريستين: فضيحة ماذا؟! فجويل لم ترتكب شيء، فمن الممكن أن تقولي أن آدم صديقها في العمل كان يوصلها إلى الجبل واسكتي الشائعات.

صمتت أم جويل ولم تعرف بماذا تخبر زوجها. لم تعد تعلم ما هي صيغة البكاء؟ هل هو حسرة على روح ابنتها الشابة. أم تفرح بأن الله قد أنهى الموضوع بصورة يجعل الجميع متعاطف مع جويل ....

آدم بعد وفاة جويل ..

لم يصدق آدم ما جرى، وكان يفكر إنه لو لم يقدم على تلك الخطوة كانت جويل معه. شعر إنه هو قتل حبيبته شعر كم هو أناني. وأخذ يلوم نفسه.
أمضى في المشفى شهر حتى استطاع المشي على قدميه وتغيرت حياة آدم راسًا على عقب. لم يعد يذهب إلى شركاته. وتعرف على مجموعة من الشباب المنحرفين الذين يرتادون الملاهي الليلية ويتعاطون الهيروئين قرر آدم أن يهرب من ذلك الكابوس بالتعاطي .. كان يعود إلى منزله ثملًا ويمضي نهاره نائمًا. ويبدأ يومه في التاسعة مساءً. يراقص فتيات الليل ويضاجعهن ويشرب الكحوليات ...
حاول أمجد رفيق طفولته أن يمنعه وإن يقنعه أن ما جرى قضاء وقدر وإن عمر جويل محدود. والذي جرى كل الخير. ولكن آدم لم يقتنع بذلك. فكان يشرب الويسكي ويقول قتلتك ياجويل.
- سامحيني قتلتك يا حبيبتي.
لم ييأس أمجد وظل يحاول مع آدم ويقنعه أن ما يفعله هو انتحار، وقتل نفس أيضًا. فيجيبه آدم: لا بأس فأنا اعتدت القتل فلم لا اقتل نفسي.
غضب أمجد من آدم وصفعه على وجهه وقال له: أيها الأحمق أو تظن أن جويل الآن لا تراك وأنت تقتل نفسك أو تظن إنها تشعر بالسعادة.

لقد قدمت روحها قربانا لك حتى تعيش. لماذا اخترت أنت الموت ...؟!! فالأمر أن استدعى أن أحبسك سأحبسك، ولن اتركك تفعل بنفسك ما تفعل. الحياة جميلة وهي تنتظر أن تصالحها.

بكى آدم وقال: لا أريد أن أعيش. أريد أن أموت لأقابل جويل.

أمجد: تبا لك لن أدعك تفعل ذلك ... وسأمنعك بكل ما أوتيت من قوة ولو كانت النتيجة أن أموت أنا. ارجوك آدم عد إلى نفسك وتوقف عن تناول المخدرات فهي لن تفييدك شيئًا ارجوك أفعل ذلك من أجلي. ها قد مضى على وفاة جويل ستة أشهر وأنت تتراجع إلى الوراء. اذهب وتابع أعمالك ولا تكن أحمق. فالحب أكبر من هذا النطاق الضيق الذي تعيش فيه. فكر بأبيك الذي يموت في اليوم الف موتة وهو يراك تضيع من بين يديه .. فكر بأصدقائك كلنا نحبك. أفعل ذلك من أجلنا. انظر إلى نفسك في المرآة لقد اصبحت مقرفًا. عيناك غائرتان والسواد حولها حالك وذقتك غير مشذبة. هل أنت آدم سعد رجل الأعمال المشهور. ارجوك آدم أرجوك.

بكى آدم بكاء حارقًا وقال: لا استطيع أن أنسى.

أمجد: انا لا أريدك أن تنسى. بالعكس لابد أن تتعلم مما جرى واكتشف انه لايزال فيك الكثير من الحب الذي ينتظر أن تخرجه ليرى الشمس. لقد أخذت موعدا من طبيب نفسي لتراه غدًا وطبيب آخر لعلاج الإدمان. ولن اقبل آي عذر.

صمت آدم وكانه طفل صغير ووضع راسه على كتف أمجد وقال له: ارجوك ساعدني لا تتركني وحيدًا. أنا أعلم أني مخطئ.

تعانقا وقال امجد: حبيبي آدم سأقف معك حتى تعود آدم من جديد ..

وفعلًا بدأت رحلة العلاج من الإدمان ورحلة العلاج النفسي وبدا آدم بالتعافي وعاد أخيرا إلى عمله من جديد .. ولكن هناك غصة في عينيه كان يراها كلما نظر في المرآة.

استطاع آدم بمساعدة أمجد أن يعيد توازنه شيئًا فشيئًا، فلابد من وجود صديق صدوق تتكئ عليه عند الملمات أن يكون بمثابة جبل تشكو إليه دون أن يشعر بملل أو تفاهة ما تقول فلابد من وجود صديق يكون مرآة لروحك وبالفعل أمجد كان مرآة آدم.

في أحد سهرات الصيف سال أمجد آدم: متى ستفكر بموضوع الزواج عزيزي آدم فالوقت يسرقنا دون أن نعلم ..!

نظر آدم في عيني أمجد وحدق فيها جيدًا وكأنه يقول شيئًا عجيبًا.

قال أمجد: لا تنظر إلي بهذه الطريقة. يجب أن تتعايش مع فكرة موت جويل وإن لابد للحياة أن تستمر.

لم يستطع آدم أن يقول شيئًا ...

أمجد: عزيزي آدم لابد أن تخرج قلبك للشمس دعه يتنفس شيئًا جديدًا. لا تقسو عليه وتحاصره بفكرة أنه مات بموت جويل. آدم قلبك

حي ويحب أن يعيش مناغشات جديدة. دعه يخرج يتسول حباً .. يقضم حلوى حب ... يقبل طيف انثى ... لا تتحكم به.

قال آدم: ما تقوله يا أمجد صحيح جدًا ولكني لا امتلك طاقة كافية لفعل ذلك .. أعلم جيدًا أني أهملته وجلدته دون مبرر ولكن أنا لازلت أشعر بأني ميت.

امجد: هذا هراء مطلق .. يا أدم، وما أقوله ليس تنظيرًا ... سأسقط كلماتي على قصتي مع سوزان.

منحنا قلوبنا لبعض وعشنا سوية أياما رائعة وكانت أكثر من زوجة لي كنت مستعدا أن اقتطع جزءًا من لحمي لتعيش ولكن عندما تقدمت لوظيفة مرموقة، وأعجب فيها صاحب العمل ذو الاسم الرنان والذي يمتلك أموالًا كثيرة. وقد بدأ الإعجاب عليه منذ أول لقاء وسوزان خفق قلبها للمال ... ولم ترفض نظراته وإعجابه بل اهملت حبها لي بذريعة انها ستتزوجه لأنها تحتاج إلى الثراء.

وجاءت إلى بيتي يوم العرس لتخبرني انها ستتزوجه بجسدها ولكن قلبها معي .. طبعًا أنا كنت على وشك أن اصفعها ولكني عانقتها وقبلتها ثم طردتها من بيتي .. وجلست تلك الليلة وحيدًا وأنا انظر في زوايا بيتي ففي كل زاوية توجد فيه ذكرى لي أنا وسوزان .. قبلة .. عناق .. واكثر من ذلك، ولكنها تخلصت من كل هذا بعملية جراحية بسيطة عادت فيها عذراء دون ماض يحمل بصماتي.

ادركت وقتها كم كنت مغفلا .. وتجرعت حبا مهدئا ونمت حتى لا افكر أكثر بأن ما مارسته سوزان معي ستمارسه مع زوجها ...كان شعورًا قذرًا مقرفًا .. فعلًا شعرت بالقرف من نفسي وصرت أهرب بالنوم.

وفي يوم من الأيام لفت نظري مقولة لجلال الرومي (هناك صوت يتحدث دون كلمات انصت له). فعلا وأدركت أن هذا الصوت صوت قلبي. شعرت بقهري وضعفي وفعلا انصت له وتصالحت مع روحي من جديد.

- عزيزي آدم، أنت وهبت قلبك كاملًا لجويل وما وهبته لن يعود ولكني متأكد أن لقلبك عليك حق .. وانصحك أن تقرا هذه المقالة التي كتبتها الاعلامية شمس الحارث وأنا متأكد انك ستتصالح مع نفسك كثيرا.

سأل آدم: شمس .. اسم لم اسمع به من قبل.

أمجد: شمس اعلامية سورية مميزة تضع يدها على جروح لم نشعر بوجودها بروحنا ..

فهز آدم براسه وقال: سأطلع على ما كتبت لربما أجد مفتاحا افتح به قلبي من جديد.

وبدأ آدم بقراءة مقالة شمس ...

"عزيزي عزيزتي .. مهما كان وقع المصيبة ضخما على روحك لابد أن تتمرن للتخفيف من ثقلها وهذا الشيء يكون نابعا من إيمانك بالخير

الذي في هذه المصيبة والخير الذي سيأتي بعدها، فهناك أشخاص يدفنون أرواحهم وقلوبهم وتبقى أجسادهم على قيد الحياة ... ويقومون بجلد هذا الجسد بالعيش في تراكمات الذكريات التي تنبش عند كل لحظة ضعف. فهناك اشخاص يطهون خيباتهم على نار هادئة ويتمتعون بالعيش في دور الضحية. من أخبرك ياسيدي أو سيدتي أن هذا الدور سيغير شيئا سوى انك تستنزف روحك وتعبث بإعدادات الحياة الجميلة التي خلقنا الله لأجلها. فنحن مستخلفون في هذه الدنيا ولكل منا دوره.

فمن الحماقة أن نقيد انتهاء هذا الدور بحلول مصيبة وكأن الساعة قد قامت ... لا اقول أن هذا ضعفًا بشريًا ولكن أقول هو انعدام ثقة بالله على تغيير حالك وانعدام ثقتك بنفسك بأنك أنت احمق وتستحق ذلك. فالأمور لا تقاس بهذه السذاجة والحياة الانسانية خارجة عن علم الرياضيات تمامًا، فلا يستطيع احدنا أن يمارس علم الرياضيات على إنسانيته. فنحن بشر ونستحق أن نتمتع بالصحة النفسية لنعمر هذا الكون الفسيح ونؤدي أمانة الله التي حملناها على ظهورنا. تخطى نكباتك افتح قلبك داوي جراحك بنفسك لأنك أنت قوي وتعلم ماهي نقطة ضعفك وتستطيع أن تعالجها بمنتهى الثقة. اتمنى أن تكون هذه الفقرة لامست قلوبكم قبل العقول وأن تبدؤوا برحلة التغيير.

المحبة لكم شمس الحارث".

تساقطت دموع آدم بعد هذه الكلمات وأمسك قلبه بيده وضغط عليه وقال سامحني أيها القلب المجروح ...

واستلقى آدم على ظهره وسيطر عليه اسم شمس كثيرًا وتخيلها وهي تقول تلك الكلمات واصبح عنده فضول ليراها أو يسمعها .. وكأن كلماتها عملت عملها فورا وبدأ آدم برحلة التغيير.

شمس والحب ..

اتصلت شمس بالأستاذ جلال في مساء ذلك اليوم الذي كان ملبدًا بالنسبة لها وغامضًا جدًا وكان شمس اكتشفت نفسها أنها تهرب من مصطلح الحب آي حب الجنس الآخر. فهي لم تهتم لأمر آي رجل وكانت تتجاهل أي اهتمام مجهول النسب.

- مساء الخير استاذ جلال.

- أهلًا عزيزتي شمس الغالية. لعل الموضوع خير.

- طبعًا كل خير. اريد أن احصل على إجازة لمدة أسبوع بسبب ضغط الدراسة. واعدك اني سأبقى ملتزمة بزاويتي الاسبوعية وسأرسلها لك عن طريق الايميل.

- عزيزتي شمس .. أرجوك أجلي الموضوع فهناك ضغط مضاعف على المجلة. فهناك مستثمر لبناني قام بتمويل المجلة للحصول على زاوية تخص نشاطه الاقتصادي وطلب أن تكوني أنت المسؤولة ... أرجوك لا تحرجيني.

شمس: وكيف هذا. أخبره أنه لدي ظرف خاص ولن استطيع التواصل مع المجلة أو زيارتها.

جلال: ولكنه طلب أن يراك ليدرس الخطة الاعلامية كونك أصبحت نجمة الصحافة والاعلام يا شمس.

شمس: لا تحرجني أرجوك.

جلال: لا بأس كوني بخير ..

أغلقت شمس هاتفها الخليوي واتصلت برفيقتها سالي.

سالي صديقتها من الإعدادي حتى الجامعة ولكن سالي تزوجت في سن العشرين وانجبت كرم وحاتم توأم. الأمر الذي جعلها مشغولة حتى أهملت دراستها ولكن كانت شمسًا شمس حياة سالي ترى من خلالها شخصيتها. وتستطيع أن نتقبل واقعها من خلال حجج شمس المقنعة والعميقة.

- كيف حالك سالي اشتقتك. سالي أنا احتاجك كثيرًا. أرجوك أنا بانتظارك الليلة في منزلي.

سالي: ما خطبك شمس هل أنت بخير؟ أول مرة اشعر انك مضطربة وحزينة. أخبريني أرجوك، هل صحتك بخير؟

شمس: أنا بصحة جيدة.

سالي: إذا قلبك ...

صمتت شمس ولم تجب.

سالي : آها لابد أن اقول لك مبروك حبيبتي شمس.

شمس: مبروك؟ لماذا سالي.

سالي: لقد وقعت شمس من السماء إلى حجر القمر لقد وقعت في الحب.
شمس: لا أنت حمقاء.
تعالي ولا تكثري اسئلة .. وتعالي مساء ارجوك.
وبالفعل لبت سالي استغاثة شمس وجاءت في المساء. ودخلت إلى غرفة شمس.
- السلام عليكم ما بك لقد شعرت بالخوف عليك. هل أنت بخير؟
شمس: نعم أنا بخير ولكني مضغوطة بالعمل ودراستي تتدهور والعمل أخذ كل وقتي وافكر أن أترك العمل والتفت إلى دراستي.
سالي: كم أنت خائفة حبيبتي. الحب ليس عيباً أو شبحًا، الحب شعور جميل لست انا من يحق لها أن تتكلم كلامك. لماذا تجدين حلولا منطقية لكل المشاكل العاطفية ولا تستطيعين ايجاد حل لحبك ..
شمس: الأمر ليس كذلك. أنا خائفة فقط وأخاف من الوقوع. فالوقوع حتى في الحب هو في النهاية وقوع. وأخاف أن يكون الوقوع مؤلمًا. فينكسر قلبي.
- حبيبتي شمس حتى لو وقعت وكان وقوعًا غير محمود فستنهضين، ولكن تصالحي مع نفسك. أعلم أن مصطفى خذلك خذلانًا بشعًا. وباع حبك بامرأة تكبره أربعين سنة مقابل المال والجنسية الأجنبية وأنت وقتها وضعت مبررًا لمصطفى. أنه من حقه أن يبحث عن مصلحته كم كنت اتمنى أن أقتلع عينه عندما جاء ليودعك ويعدك إنه سيعود. من يظن

نفسه هذا التافه. وأنا أعلم أنك تخلصت من حبه. ولكن لم الخوف عزيزتي. أغرقي في بحر الحب وإن غرقت ستبقين حية بالحب. عشقك لجلال الدين الرومي وشمس التبريزي غير الكثير من مفاهيمك. ولكن لماذا تستطيعين أن تسامحي كل الناس ولا تسامحي نفسك. الحب كسر قلبك وسيعود ويلحمه حب آخر لا تكوني مريضة قلب. أعرف أنك لم تعودي تثقي بالأحلام ولن أنسى أبدًا تغريدتك على تويتر وكم احدثت ضجة. لأول مرة تبدو شمس عكس طبيعتها وعكس ما تقول. فأحدهم قال: لابد أن لهيب الحب أحرق شمسًا. وكان مسحك للتغريدة وقتها افضل شيء ولكنها كانت رائعة احتفظت بها سأقرأها لك.

"أنا أنثى لا تثق بالأحلام.

أتوضأ بأحزاني قبل أن أنام.

أبحث عن قلبي الذي فقدته في معركة اوهام.

أتوخى الحب الذي قد يفقدني توازني ويجعلني لجبروته مطواعة ..

لا أريد أن يقسم الحنين ظهري عندما تباغتني صورتك وأنا أتصفح آي كتاب ولا أريد أن تنهش الذكريات من بريق عيوني لتصبح باهتة بلا أضواء... أريد أن أنام بسلام دون أن أخاف من لحظة السهر ولا أريد أن أشعر بالرهبة من آي منام.

أريد أن أخلص لصباحي وقهوته وفيروزياته دون منغصات أريد أن أغازل شجرة الياسمين وهي تنفث عطرها على شعري كل صباح...

أريد أن اجرب كيف لي أن اعيش حياة دون سجن وضعت فيه روحي وتركتها لذلك السجان. الذي منع عنها الطعام والشراب وفي لحظات منع عن الهواء. كم أنا مدينة لتلك الروح التي تحملت ضعفي وتحملت عبثي وجنوني .. أريد أن أعطيها قسطا من قلبي لترتاح معه بعد ذلك الصراع. كفاها ذلك الاغتراب الذي عاشته دون رحمة ودون مبرر. ولا يكفيها دونه كما من الأعذار .. الآن وفقط الآن سأخبرك أني سأحتفظ بما تبقى لدي من روح وسأطهرها بزمزم النسيان ... شمس الحارث".

كانت جميلة على الرغم من كم الحزن الذي فيها. شمس ابداي من جديد فهناك قلب يبحث عن قلبك ليكون مرآة له .. لا تغلقي الباب. انا اعرف شمسًا أنت وقعت في الحب. تروي قليلًا وتريثي. حسنًا لقد داهمنا الوقت أولادي أصبحوا مشاغبين. تصبحين على خير ....

وذهبت سالي معتذرة لضيق الوقت وتركت شمسًا وحيدة ومضطربة. لم تجرؤ شمس على إخبار سالي بانها راسلت آدم واعترفت له بالحب، لأنها لم تتلق آي رد من آدم ... فشعرت بالخيبة.

فتحت شمس اللاب توب وبدأت تقرأ بريدها الإلكتروني. وكانت المفاجأة غير المتوقعة. وصول إيميل من مصطفى:

"شمس حبيبتي اشتقت لك كثيرًا كم أنا نادم على قراري الذي ابلغتك إياه برسالة إلكترونية في اليوم الذي كنت تنتظرين فيه قدومي

لأضع خاتم الخطوبة في يديك والذي اخترناه سوية. أعلم كم كنت أنانيا وأحمق لقد ضرب الله على سمعي وأعمى بصيرتي. فاتبعت أهوائي ومصالحي. بالحقيقة لم يكتب لي التوفيق مع انجلينا وانفصلنا دون أن أحصل على شيء. تصوري كم كانت خسارتي كبيرة. خسرتك من أجل خسارة.

شمس أنا لا أطلب منك سوى أن تسامحيني فانا لا استحق اظفر قدمك واعلم انه كرم خلق منك أن تقرأي كلماتي. يحق لك أن تبصقي على كلماتي وتبصقي عليّ. انا لا أستحقك سامحيني شمس الغالية. المحب وجدًا مصطفى ...".

وفي نفس الوقت تواصل مصطفى مع سالي ليتأكد أن شمس لاتزال حرة تحتفظ ببقايا حبه ولكن كان رد سالي عنيفًا.

سالي: دعها وشانها أيها المعتوه. هل تظن أن شمسا بعد ما حصل لها منك ومن خيانتك ستنظر إليك. أو تفكر مجرد التفكير باستعادة حبك المريض لها أيها المريض. أتعلم شيئا يا مصطفى كم أنت إنسان رخيص. بعت شيئًا لا يباع بأموال الدنيا .. بجنسية حمقاء وامرأة عجوز ذات مال. ولكن أنا أرى أن تلك الاجنبية لا تعلم إنها ضحية لإنسان فاشل .. أنت لا تحب نفسك فكيف لك أن تحب غيرك. وإن حصلت معجزة سماوية وقررت شمس الرجوع اليك سأبصق عليكما.

ولكني واثقة بالغالية شمس فهي رمتك في سلة المهملات أصبحت في الجزء المهمل من الذاكرة الذي تسترجعه لتعلم كم يملك هذا المجتمع قذارة وكم أنت مستنقع ووحل. نجت منك شمس بأعجوبة.

اسمع جيدا سأبذل ما بوسعي لأبعدك عن شمس وان استلزم الأمر أن اقتلك فسأفعل .. فعلًا أنت لا تخجل من نفسك ولا يوجد عندك ذرة إحساس دعها وشانها.

شعر مصطفى بالغيظ وكلام سالي استفز سادتيه لينفث سمومه على شمس كتحد لها لا أكثر، فهو لا يحب شمس ولكن يحب الامتلاك بل هو مريض بالامتلاك لا أكثر.

قرأت شمس رسالة مصطفى وعيونها ممتلئة بالدمع. استعادت بذاكرتها ايام الحب النقي مع مصطفى والأحلام وتذكرت أيضا الاسماء التي قرروا أن يطلقوها على الأولاد (حكم وزينة).

تذكرت الكثير الكثير ومسحت تلك الرسالة وتابعت قراءة بريدها الممتلئ بالرسائل التي تسأل شمسا حلولا للمشاكل الاجتماعية ومشاكل الحب ومشاكل الفراق ووووو ....

ثم رن جرس هاتف المنزل، ردت ام شمس وقالت: شمس يا شمس الاستاذ جلال يريدك. يبدو الأمر خطيرًا.

هرعت إلى الهاتف، جلال كان غاضبا وسألها: كيف لك أن تغلقي هاتفك كل هذا الوقت وان تعملين في مجلة وأصبحنا وكالة صحفية ولابد

أن نكون نحن السباقين في تغطية آي خبر وخصوصا أن كان يمس مجلتنا ووكالتنا الصحفية؟!!!

كان مضطربا ولأول مرة يتكلم معها جلال بهذه الطريقة.

شمس: استاذي ما الأمر أشعر بالرعب.

جلال: سأقرأ لك هذا الخبر.

اختفاء رجل الأعمال اللبناني آدم سعد بعد خروجه من دمشق. يمكن لك أن تفتحي على قنوات تلفزيون لبنان التي يمتلك معظمها.

وقعت السماعة من يد شمس وأصيبت بالذهول.

- يا إلهي آدم لماذا؟ لماذا في هذا التوقيت. كنت اريد محادثته لاعتذر له عن أسلوبي الفظ.

كانت تحدث نفسها بذلك دون أن تنتبه لصراخ الاستاذ جلال. ارتدت ثيابها وفورًا اتجهت إلى بيروت دون أن تخبر أحد. اتصلت بتكسي خاص واتفقت معه الذهاب. تكلمت مع الأستاذ جلال، وقالت: له انا في طريقي إلى بيروت .. سأذهب إلى فرع مجلتنا هناك لأغطي الحدث.

جلال: ماذا تقولين؟!! أريدك هنا. من أذن لك بذلك يا شمس؟! أنت اصبحت واثقة من نفسك وتتصرفين دون الرجوع لي ...!

صمتت شمس وقالت: اعتذر استاذ ولكن الموضوع شخصي نوعا ما.

جلال: شخصي!! ومنذ متى ونحن ندخل أمورنا الشخصية بالعمل.

فقالت له: سأحادثك عندما أصل.

وصلت شمس إلى المجلة وكان الاضطراب الطابع العام لها فمسيو آدم هو الممول لهذه المؤسسة الاعلامية وهو شخص لطيف لا توجد له عداوات. والسلطات اللبنانية ستدلي بتصريح بعد ١٠ دقائق لتشرح ملابسات عملية الخطف.

شمس: خطف؟!!!!!!! ماذا تقول .. مسيو آدم مخطوف .. لماذا ...؟!

ميشيل: بالحقيقة يادوموزيل شمس تسربت بعض الأخبار عن مقتل آدم.

انفجرت شمس بالبكاء: يا إلهي ارجوك احمي ادم ارجوك يا إلهي، انا لا أستطيع أن احتمل تلك الحسرة. قلبي لا يتحمل.

ميشيل: أهدئي شمس مجرد تسريبات. تعرفين السبق الصحفي. واستغلال مشاعر الشعب. سننتظر التصريح ...

- هيا هيا انظروا وزير الداخلية سيدلي بتصريحه.

"أريد أن اطمئن الشعب اللبناني والشعب العربي أن الإشاعات حول مقتل مسيو آدم سعد عارية عن الصحة، وأن من قام باختطافه ليست داعش أو آي جماعة إسلامية. والموضوع حسابات شخصية ولكن الأمن اللبناني يبذل قصارى جهده لتحرير مسيو آدم ومعاقبة المسيئين".

جثت شمس على ركبتيها ووضعت يداها على وجهها واصبحت تبكي وتشكر الله على سلامة آدم ...

توجهت شمس إلى مكتب مدير الامن اللبناني وقدمت له هويتها الصحفية وطلبت منه معلومات ليست للنشر ولكن لأن آدم خطيبها.

قال: لا باس يا ابنتي. آدم بخير واستطعنا إجراء اتصال مع الخاطفين عن طريق والده رجل الأعمال رشيد السعد وعلم أن الموضوع مقامرات قديمة.

تفاجأت شمس: ماذا تقول؟ أنت لا تقول الحقيقة.

- بل هي الحقيقة والخاطفون يطلبون فدية خمس وعشرين مليون دولارًا. ووالده يتفاوض معهم. لا تخافي سيكون بخير. في لبنان هذه الامور منتشرة نوعًا ما بعد الحرب الأهلية. ولكن هذه أول مرة رجل أعمال كآدم يتم اختطافه.

شمس: وهل سيطول الموضوع؟

مدير الأمن: هذه معلومات سرية وانا اطلب منك الانصراف ارجوك.

تم تداول فيديو على اليوتيوب يظهر آدم وهو مقيد ووجهه متعرض إلى كدمات وأحد الخاطفين اطلق رصاصة على قدمه.

فزعت شمس وذهبت إلى والد آدم الذي كان يشعر أنه سيخسر ابنه.

- مرحبًا استاذ رشيد .... وعرفت عن نفسها.

شمس صحفية وكان آدم قد تقدم إلى خطبتي قبيل ذهابه إلى لبنان ولكني انصعقت بهذا الخبر.

قال لها: شمس .. لا تخشي شيئًا .. اليوم سيكون آدم بيننا لا تقلقي.

وبالفعل تواصلت المفاوضات بين الخاطفين والأمن بوصاية رشيد سعد وتم تسليم آدم سعد لأسرته واستطاع الخاطفون الخروج من البلد حيث كان هذا الشرط الاساسي حتى لا ينهوا حياة آدم.

كانت سيارات الإسعاف والأمن بانتظار آدم نخرج مع ابيه على نقالة الإسعاف وتم إسعافه. كان فاقدًا للوعي والكدمات غيرت ملامحه وقدمه تنزف نزفًا شديدًا. دخل إلى غرفة العمليات.

خرج الطبيب وأخبر والد ادم أن حالته ليست مستقرة والرصاصة التي اصابت قدمه كان مكانها سيء وتعفن الجرح بسبب الإهمال. ولربما نضطر إلى بتر قدمه. صفع رشيد وجهه بكلتا يديه وبكى وقال: ياليت قدمي لا قدمك يابني. ارجوك حضرة الدكتور أبذل جهدك للحفاظ على قدميه.

- الطبيب سنفعل سيد رشيد ...

في هذه الأثناء وصل جلال وشمس وميشيل إلى المشفى وظنوا أن أدم فارق الحياة من شدة بكاء ابيه ونواحه.

شمس: أستاذ رشيد هل آدم فارق الحياة؟!!

وصوتها مرعوب وعيناها فيها دموع.

قال: لا لكنه سيفقد إحدى رجليه.

جلست شمس على الارض وقالت: يا إلهي كن مع ادم .. يا إلهي انقذه بلطفك الخفي ... يا رب كن معه ارسل له ملائكة تساعده. يا رب لا تتخلى عنه فهو في أشد الحاجة إليك.

انقضت ٦ ساعات والعملية لم تنته ولم يخرج أحد من غرفة العمليات. ثم خرج آدم وهو تحت تأثير التخدير، وهو يقول: شمس شمس أين أنت يا شمس .. جويل شمس جويل.

استغربت شمس وبكت ونظرت إلى قدمه وعرفت إنه بات دون قدم.

دخل غرفته وتناوب الأطباء على زيارته وكان المشفى محاطًا بالأمن خوفًا عليه.

بعد حوالي ساعة استيقظ ادم وهو يتألم ألمًا شديدًا الأمر الذي استدعى أن ينادوا الممرضات .. اعطوه حقنة مسكن ومهدئ ثم غرق في النوم.

قالت الممرضة العملية كانت صعبة والألم لا يطاق. كان الله بالعون.

استيقظ الساعة الثالثة وشمس جالسة بالقرب منه. نظر وقال: من أنت؟ لا أصدق أنت شمس. أنا أين ولماذا نحن هنا؟ كل ما أذكره أني اختطفت. وآخر شيء اني أصبت بعيار ناري في قدمي.

تحسسها فاتسعت عيناه وقال: أين رجلي .. أين رجلي؟!! هل فقدتها؟

بكت شمس وقالت له: لا بأس، المهم انك معنا وعلى قيد الحياة.

آدم: لا تتصور أن الله إذا أخذ منك شيئًا إلا ليعوضك إياه أضعافًا مضاعفة ويختبر رضاك وصبرك. لا تفكر إنك بت بلا رجل واحدة فمن

الممكن أن الحادث قد افقدك يديك ورجليك ولربما بصرك. انظر إلى النعم التي تعيشها. ولا تفكر بالذي فقدته بل فكر بما لم تخسره. فما فقدته سيأتيك. ولكن تمتع بالرضا والحب واحمد ربك على ذلك. الطب يتقدم والأطراف الصناعية ستساعدك لتجاوز محنتك. أعرف الكثير من الاطفال الفقراء الذين فقدوا ما فقدوا. ولم يستطيعوا أن يحصلوا على أطراف. كن راضيا آدم.

آدم: شمس .. شكرًا لك لوقوفك بجانبي. أنا استمد من قوتك وصبرك ما يجعلني إنسانًا آخر.

في هذه الاثناء دخل والد سعد وقال له: حمدًا لله على سلامتك، ولكن لم اكن أعلم أن ذوقك في النساء جميل جدًا. ألف مبروك يا ابني.

آدم: ماذا تقول وعلى ماذا تبارك اني فقدت قدمي؟

- لا يا بني أخبرتني شمس السر الذي اخفيته عني. إنك تقدمت لخطبتها ولكن موضوع الخطف حال بينكما ولكن الآن سأقيم لكما حفل زفاف يشهد له الشرق الاوسط.

نظر آدم في شمس مستغربًا وشمس كان وجهها أصبح أحمر عيناها عسليتان .. شفاهها كالكرز، وقلبها ينبض بسرعة.

قال آدم: لا أظن شمس ستقبل بي وانا بقدم واحدة.

كانت شمس محتبسة الكلام من شدة خجلها لم تستطع قول شيء وخرجت من الغرفة وهي تجري واستقلت سيارة وعادت إلى دمشق.

تابعت عملها في الوكالة الصحفية وهي تنتظر تعافي آدم الذي تغير معها كثيرًا يتحدث معها بجفاء، مكالمته قصيرة مقتضبة، وكلماته لا تحمل آي حرارة، وكانه يقول لها شمس لم اعد اريدك.

توقفت شمس عن التواصل مع آدم وعادت إلى عملها بكل اندفاع فهي لا تحب أن تفرض نفسها على أحد ... انقطع التواصل بين شمس وآدم وكان شيئًا لم يكن غاب آدم ذلك اليوم عن حياة شمس غيابًا مملوءًا بالتعتيم فهي لم تستطع أن تعالج الموضوع أو أن تجد مخرجا مناسبا فقبلت بالغياب.

اتصل جلال بشمس وقال لها: عندي لك مفاجأة جميلة.

شمس: حقًا أخبرني أرجوك ...

- المجلة ستغطي مهرجان كان في فرنسا. وتم ترشيحك لهذه المهمة.

فرحت شمس كثيرًا: اشكرك سيدي على ثقتك الكبيرة بي.

قال لها: اشكري اجتهادك فانت تستحقين.

ركبت الطائرة دخلت في سلسلة الذكريات وقالت: حتى تاريخ اليوم يكون آدم انقطع عن التواصل معي سنة كاملة حتى فرعنا في بيروت لم يعد يذكر شيئا عنه.

نزلت المطار وذهبت إلى الفندق وبدأت بكتابة خطتها في العمل وما الذي تريد أن تفعله ... استغرق عملها ٣ ساعات ثم خلدت إلى النوم لتبدا بالغد تغطية الحدث.

ذهبت إلى المهرجان واجرت مقابلات مع الكثير من الفنانين والمخرجين وشخصيات عربية وأجنبية. حتى أنها التقت بالسيد رشيد سعد وقالت له: مرحبًا أستاذ، أنا شمس.

- اه شمس، كيف حالك؟

- الحمد لله.

- مسيو آدم ما أخباره؟

قال لها: أجرى عملية وركب طرفا صناعيًا وتزوج وهو بانتظار ولي العهد لا تحزني فالدنيا كلها نصيب لابأس. أنت جميلة والأنظار كلها عليك.

ضحكت شمس وقالت: اختيار الله لنا هو أجمل اختيار. فرصة سعيدة أستاذ.

تذكرت شمس النقاش الذي دار بينهما ...

- شمس أنا احبك ولن استطيع أن اتزوجك وأنا ذو إعاقة.

شمس: إعاقة!! أنت تهذي. الاعاقة الجسدية لا تعني لي شيئًا، الإعاقة بالنسبة لي هنا وأشارت إلى رأسها، إعاقة التفكير قد تقتلني وتقطعني إربًا ماذا سأستفيد من شخص كامل الأوصاف وفكره مريض يوجد عنده مشكلة في استقلاب حوادث الحياة ...

- شمس أنت جميلة وأعلم علم اليقين أن قلبك لايزال مقيدًا فلو كنت أشعر بحرارة حبك تلامس قلبي لما ترددت بالارتباط بك.

وعلمت شمس مؤخرًا أن من تزوجها لها إعاقة في قدمها ... وعلمت حينئذ أن آدم كان صادقًا مع نفسه.

مكثت في باريس ثلاثة أيام ثم عادت وكانت مكسورة القلب للمرة الثانية فهي اكتشفت مؤخرًا أنها وقعت في حب آدم ولكن القدر كان له رأيا آخر.

استمرت حياة شمس بالق وتفوق ولكنها فقدت بريق قلبها للمرة الثانية على التوالي .. اتسع عمل الوكالة.

وكانت تمضي شمس معظم وقتها بالسفر بين بلدان اوروبا والبلدان العربية وكان حضورها ساطعا كاسمها ولكن لا احد يعلم ما تخفي شمس وراء هذا القلب. ففي مرة كانت تغطي حدثًا إعلاميًا ضخمًا يشمل الجالية السورية في المانيا ويتحدث عن التفوق الذي حققه أبناء هذه الجالية. على الرغم ما عانوه من ظروف الحرب. كان هناك شخصيات عالمية مشهورة ورنانة.العربي منها والأجنبي. وبالطبع كان البروش الذي على قميص شمس يحمل علم بلدها ذو النجمتين الخضراوتين وكان هناك البعض ممن يحملون علم الانتداب علم الثورة. ممن كانت تعرفهم شمس حق المعرفة.

التقت بأكثم الذي كان متجهم الوجه وهو ينظر إليها يحاول أن يخفي دهشته الممزوجة بالإعجاب والغضب ...

- شمس الحارث .. أهلًا بك أيتها الاعلامية، ألا تزالين تحتفظين بهذا العلم!!

شمس: بالطبع فأنا حرة. انظر إلى نفسك لا تزال في ظل الانتداب. ولابد انك تعاني من انتداب عقلي جرى في عروقك. من الحماقة أن تتفوه بمثل هذه الكلمات بعد تلك الاحداث التي شهدتها بلدنا بسبب فكر مريض مدسوس. ولكن انا مستغربة كيف استطاعوا أن يجرفوك معهم وانت صاحب العقل الراجح.

أكثم: هههههه أنت شمس لم تتغيري. لا يزال لسانك طويلا.

كظمت شمس غيظها وقالت له: ليلة سعيدة لدي الكثير من العمل الهام لأقوم به. أفضل من إضاعة وقتي بهذه التفاهات التي لن تسمن ولن تغني من جوع .. وعلى كل هذه حرية رأي وأنا احترم رايك.

ومضت إلى غرفتها وجلست وهي تفكر بأكثم كيف استطاع أن يتغير هذا التغيير كانه انقلب رأسًا على عقب. لابد أن هناك شيئًا غامضًا دفع أكثم لهذا. ليس اكثم فحسب بل الكثير. وبينما هي مشغولة بالتفكير رن جرس تلفون الغرفة.

- مرحبا شمس انا اكثم. هناك موضوع مهم لابد أن أخبرك به.

شمس: تفضل.

اكثم: الحديث يحتاج إلى لقاء. غدًا في التاسعة صباحًا سألتقيك في بهو الفندق ونحتسي القهوة سويا.

شمس: حسنًا سأحاول.

اكثم: اوعدني شمس الموضوع مهم جدًا.

شمس: حسناً غدًا نلتقي.

وفي الصباح ..

شمس: صباح الخير اكثم. أرجو ألا أكون قد تأخرت عليك.

- لابأس فأنا أقرأ الصحف. كيف حالك يا شمس وكيف أسرتك؟ وكيف هي دمشق؟

شمس: هل اشتقت دمشق؟

اكثم: ومن لا يشتاق أمه.

شمس: لماذا عققتها إذا؟

اكثم: ارجوك شمس الموضوع معقد ومتشابك. ولن أستطيع أن أوصل لك الفكرة. ولكن كيف هو مصطفى؟ ولماذا افترقتما؟

شمس: الأفضل ألا أجيب.

اكثم: التقيت مصطفى هنا وكانت حالته مزرية بعد أن طردته زوجته ووضعته في السجن. وقص علي ما جرى وشعرت بالأسف.

شمس : لقد فعلت أنت كما فعل مصطفى.

اكثم : عفوًا أو ضحي شمس.

- لقد خنت وطنك من أجل ...

- كفي عن هذا الهراء، أنا اعتصر ندمًا لا استطيع أن احدثك بملابسات ما جرى ولكني لا استطيع فعل شيء ..

شمس: بإمكانك العودة إلى وطنك. ألم تسمع بالتصريحات الرئاسية التي تدعو أبناء الوطن بالعودة وتسوية اوضاعهم. اكثم ثق بي أرجوك.

اكثم: الأمر ليس بسيطًا كما تظنين فأنا في كل يوم اشعر أني سأصفى من قبلهم.

شمس: من هم؟

أكثم: ليس مهمًا. والموضوع الذي سأخبرك به خطير جدًا ومن الممكن أن يكلفني روحي.

شمس: اكثم ماذا تقول هل أنت على ما يرام.

اكثم: نعم سأصبح كذلك عندما أنزع من رقبتي هذا العبء وهو لم يتوقف عن تناول السجائر.

شمس: أنت أصبحت مدمن دخان.

ضحك اكثم وقال: كم أنت طفلة؟ عزيزتي شمس، أنت لست غبية وتعلمين أني منظم .. ووجودك هنا خطر عليك أرجوك غادري بأسرع وقت.

شمس: لماذا تقول هذا ...

- شمس افهميني غادري اليوم قبل الغد. وأنا استطيع أن اقسم لك أن هذا اللقاء لربما يكون مسجلًا، وسيكلفني الكثير فقد وكلوني بمهمة جرك إلى طرفنا.

شمس: من هم أخبرني.

اكثم: أرجوك شمس خذي كلامي على محمل الجد. وداعًا أخبري دمشق أني اشتقتها. ولكن ما باليد حيلة. كوني بخير.

بدأ الاضطراب على وجه شمس ولكنها بقيت متزنة وشعرت أن هذا الكلام نوع من أنواع التخويف ولكن لم يكن هذا رايها عندما علمت بمقتل اكثم. حيث تعرض له مسلحون مجهولو الهوية وقتلوه. شعرت بالرعب وشعرت انها مراقبة وأن اكثم ضحى بروحه ليحميها وهي لم تكن مهتمة ...

اتصلت على الفور بجلال وهي تبكي انصعق وقال لها: أهدي فنحن لسنا في غابة. اجزي فورًا إلى دمشق ولا داعي لأن تكملي المهمة الصحفية.

اختطاف شمس ..

خرجت شمس الساعة الثانية عشر بعد منتصف الليل من الفندق متوجهة إلى المطار. وهي في منتصف الطريق تعرضت لها سيارة سوداء عالية، خرج منها أشخاص ملثمون ومسلحون واقتادوها بعدما وضعوا عصابة سوداء على عينها. ووضعوا لاصق على فمها وقيدوا يديها ومضوا.

انقطعت أخبار شمس والمجلة تواصلت مع الحكومة الالمانية لتخبرهم بذلك وتأكدوا أن شمسًا لم تذهب إلى المطار. ووجدوا سيارة الفندق داخل غابة والسائق فيها كان مقتولًا.

تم إعطاء شمس حقنة مخدرة وغطت في نوم عميق استفاقت وهي تعاني من صداع وبدأت بالصراخ بعدما تم نزع اللاصق عن فمهما.

دخل أحد الخاطفين: وأخيرًا استيقظت ايتها الجميلة.

شمس: من أنت ولماذا انا هنا؟

الخاطف: من انا هذا ليس مهما؟ أما أنت فهذا جواب معقد وسنرى كم أنت غالية على بلدك ..

- ماذا تقصد ...؟

الخاطف: سياتي الزعيم ويخبرك. تناولي الطعام فنحن نريدك على قيد الحياة.

شمس كانت مصدومة ولم تكف على الصراخ.

قال لها الخاطف: لابأس سنفاوض على حياتك. على حياة بعض المعتقلين في سجونكم وسنرى مدى الاستجابة ...

قالت شمس اقتلوني اقتلوني أيها الاوغاد.

فركلها بقدمه نفرت مغمياً عليها ....

لقد احتل نبا اختطاف شمس الصحف والمجلات العربية والعالمية والحديث عن المفاوضات. وكان هناك تعتيما إعلامياً عن أسماء المعتقلين الذين سيتم مبادلتهم بشمس، وكانت الأمور تسير على ما يرام حتى تلك الليلة.

اغتصاب شمس ..

كانت شمس منهارة وتصرخ أخرجوني من هنا أو اقتلوني. دخل أحد الحراس الماجورين والذي كان مخفورًا وقال: اخرسي ايتها العاهرة.ألم نتعب حنجرتك من الصراخ. مهما صرخت لن يستجيب لك أحد ..

- أرجوك فك قيدي .. ارجوك ...

اقترب منها قليلًا، وحدق بعينيها وشفاهها الكرزية، ووجنتاها المحمرة.

شمس صرخت: ماذا تريد أيها المجنون ابتعد عني .. ابتعد.

- كم أنت جميلة .. اعطني قبلة.

- ابتعد أيها الوغد ابتعد.

تمكن منها الحارس وقبلها ومزق ثيابها وشمس تقاوم وتبكي، وتقول يا إلهي انقذني.

باتت عارية شمس بين يدي الحارس الذي تحول إلى حيوان وقام بضربها واغتصابها وهي تصرخ وتصرخ .. وتتذكر نظرات أمها عندما اخبرتها ببلوغها ووجود بقع دم على ثيابها الداخلية. تذكرت كلماتها التي لم تفهمها حينئذ ولكن الآن استوعبت مرارة تلك النظرات وفقدت الوعي.

دخل أحد الخاطفين ووجد شمس بتلك الحالة والحارس المخمور فاقد لوعيه أيضًا، وقال له: تبا لك لقد أفسدت كل شيء.

وضع مسدسًا في رأسه وقتله. وضع الخاطف شرشفا على شمس واسعفها إلى عيادة قريبة.

اندهش الطبيب وقال: هذه الفتاة تعرضت إلى عنف جسدي ولا أعلم أن كانت تعرضت إلى عنف جنسي من الافضل أن نخبر الشرطة.

وضع الخاطف مسدسه في رأس الطبيب، وقال له: تابع عملك بصمت وإلا قتلتك.

ذعر الطبيب ومدد شمس على الشازلون وضغط زرًا غريبًا، وتابع حالة شمس. هذا الجرس كان جرس انذار كون العيادة موجودة في منطقة إجرامية وكان الطبيب يستدعي الشرطة بهذه الطريقة وخلال خمس دقائق وصلت الشرطة وحاصروا المكان فقام الخاطف بقتل نفسه، وتم إسعاف شمس إلى المشفى وتم إجراء الاسعافات الاولية لها.

مكثت في المستشفى مدة أسبوع. وبعد أن تعافت عادت إلى دمشق ...لم تستوعب شمس مرارة الموضوع الذي تعرضت له .. كم هو عمل جبان ما أصابها فهي كتبت الكثير عن الاغتصاب وكانت تشجع المغتصبات على إتمام حياتهن وكأن شيئا لم يكن واكتشفت شمس كم كانت مخطئة. فهي كانت ضحية لاغتصاب فكري واغتصاب جسدي.

لم تستطع العودة إلى الصحافة ولا إلى المجال الإعلامي فهي لم تلتقط أنفاسها بعد وليست جاهزة لإعطاء وجهة نظرها أو إيجاد حلول للمشاكل التي كان يعاني منها المجتمع.

اكتشفت شمس كم كانت ضعيفة وفهمت نظرة امها الخائفة وهي صغيرة فهل كانت أم شمس يراودها شعور أن شمس ستتعرض لما تعرضت له وأرادت تهيئتها ... لم تعد قادرة على تحليل أو ربط الأمور ببعضها. وقررت أن تخضع للعلاج النفسي وراجعت طبيبتها ليلى التي كانت تهتم بعلاج الكثير من النسوة اللواتي تعرضن للعنف الجسدي أو العنف الجنسي.

ولم تكن شمس مختلفة كثيراً على الرغم من فارق الثقافة والخبرات التي اكتسبتها ولكن البيئة كانت مشتركة. ففي مجتمعاتنا الشرقية حتى لو تعرضت الانثى لاغتصاب تكون هي الملامة ... وهي المسؤولة والشاب يمضي في طريقه لاغتصاب فتاة اخرى.

تذكرت شمس حادثة اغتصاب فتاة في إحدى القرى وتذكرت قوتها وجبروتها واعتزازها في شخصيتها. فمجريات الاغتصاب كانت غريبة. حيث كانت نور فتاة متزوجة في إحدى القرى وكان زوجها مسافراً.

نور كانت رائعة الجمال طويلة بيضاء عينان خضراوان. تسلل إلى بيتها مروان وهي مشغولة في المطبخ وقام بكم فمها وجرها إلى غرفة نومها وقام باغتصابها.

ولكن نور استطاعت تميز مروان فهو شاب من القرية المجاورة يأتي ويذهب وعندما انتهى، وهم بالخروج.

ركلها بقدمه وقالت له: سأفضحك أيها السافل. تبا لك.

فنظر لها مروان نظرة خبيثة وقال لها: ستصمتين مثلما صمت غيرك.

انهارت نور وفكرت بكلماته إنه قام باغتصاب غيرها ولكن خوفهن من المجتمع جعلهن يصمتن وعندما عاد زوجها في اليوم الثاني ووجدها منهارة والكدمات على وجهها وأخبرته بما جرى فاستشاط غضباً. وقال لها: تبا لك ايتها الفاجرة ... ورمى عليها يمين الطلاق.

وقال لها: اخرجي من منزلي ... اخرجي.

وقام بدفعها لتصبح خارج المنزل وكأنها مجرمة

- أنت لا تستحقين أن تربي اطفالي ...

ذهبت نور إلى اهلها وأخبرت أخواتها الشباب وعلم البعض من أبناء عمها بما جرى .. وغضبوا جدًا وقرروا الانتقام لنور من ذلك الشاب. وقاموا بمحاصرة القرية وترصد مروان الذي لم يكن يعلم أن نور كشفت سره، وفضحته وقاموا بالقبض عليه وأجبروه على الاعتراف فاعترف بأنه قام باغتصاب الكثير من فتيات القرية ... فجاء شيخ القرية واستدعى عائلة مروان لاطلاعهم على ما فعل مروان بفتيات قريتهم. فتم هناك اجتماع بين زعماء القريتين وكان الحكم على مروان بالإعدام. وقام أخوة نور بقتله ... وانتصروا لنور.

فجاء جابر زوج نور .. يطلب منها أن تعود له، بكت نور كثيرا في هذه الأثناء فقال زعيم القرية: أنت طلقتها ظلما وادعيت إنها فاجرة وطردتها. فلابد أن تعيد لها اعتبارها ولابد لك من تنظيم جاهة من وجهاء القرية لطلب نور مرة أخرى ...

كانت وقتها شمس معجبة بقوة نور ووضعها لعادات المجتمع وراء ظهرها وكتبت عنها الكثير. ولكنها عندما تعرضت شمس لما تعرضت له نور. لم تمتلك شجاعتها في مواجهة المجتمع ... فعندما يكون الانسان صادقًا ونقيًا وعلى حق يمتلك قوة وطاقة إضافية ويكون نور الله في قلبه.

فنور تعلم أن الله رأى ما تعرضت له. وهو لا يظلم مثقال ذرة. وهي لم تنس سورة المجادلة.

المرأة التي جاءت إلى رسول الله عليه السلام، لتشتكي زوجها. وتبدأ الآية الكريمة (قد سمع الله التي تجادلك في زوجها) فإذا أخبر الله نبيه انه قد سمع قول تلك المرأة فكيف له ألا يسمع نداء نور.

رفضت نور العادات والتقاليد وارادت أن تكون درسا لنساء قريتها اللواتي تعرضن لظلم فاحش بسبب الموروثات القديمة.

فنور لها فتاة في العائلة ولها قصة قديمة جدًا وهذه الفتاة اسمها سماح. أحبت سماح ابن عمها أنور وحملت منه دون آي زواج وعلم افراد العائلة بذلك فقاموا بتهريب انور خارج القرية حتى خارج البلد وارسلوه إلى الاردن وقاموا بقتل سماح بدم بارد.

والذي يوجع القلب أن الذي قتلها هو والد الوغد انور الذي عاد بعد سنتين، وتزوج فتاة من القرية وكأن شيئا لم يكن ولاتزال سماح حتى الآن تذكر بالسوء مع إنها مظلومة.

فتاة عمرها ١٥ عام طفلة ضحك عليها ابن عمها بحجة الحب والمجتمع لم يسامحها فلو انهم لجأوا إلى الشرع. فالأصل في هذا الموضوع الستر لكلا الطرفين وخصوصًا الأنثى وان ثبت بما انهما ليسا محصنين. فالعقوبة هي الجلد.

فلماذا تجاوزوا العادات وغالوا على الشرع وقاموا بتشريع لهم يوافق مرضهم وذكوريتهم. ولكن نور استطاعت أن تدحض رواسب الفكر المريض وتلفه في كفن. فالحق يعلو ولا يعلى عليه ... والانتقام لن يفيد شيئًا ...

حاولت شمس أن تتمالك نفسها ولكن أصوات صراخها كانت تداهمها واللعاب الذي يسيل من فم ذلك المأجور ولاتزال تشم رائحة المشروب. ولا تزال تشعر باحتكاك جلده بجلدها الطري. فتخرج إلى المغسلة وتتقيأ وكان الحادثة حدثت لها للتو ...

استطاعت شمس بعد العلاج النفسي والتعاون مع الدكتورة ليلى أن تتجاوز محنتها بصعوبة وعادت شيئا فشيئا إلى حياتها الإعلامية ولكن ألقها كان مطفأ .. لم يكن لديها تلك الرغبة العارمة التي كانت تدفعها للعمل والكتابة وعودتها إلى الوسط الإعلامي كان خبرًا جميلًا.

واستقبلها عالمها الجديد بطريقة مختلفة. كانت تشعر أن كل من كان يتعامل معها. يتعامل معها بحذر شديد. يخشى أن يتفوه باي شيء يؤذي شمس. ولكن شمس اعتادت على نظرة الشفقة التي ينظر إليها المجتمع بها نظرة شفقة شاهقة في الاستغراب.

بين قوة شمس واستطاعتها العودة إلى العمل الذي تسبب بما أصابها. وبين تراجعها الذي يمكن أن يحدث في اية لحظة .. التقت شمس بإعلامي ناشئ في المجلة اسمه يعرب.

كان يعرب يتعامل معها بذكاء حاد ويحاول أن يقرأ لها اشياء تساعدها على اجتياز الصعوبات التي لم ترها بعد. ففي مرة من المرات أرسل لها في عيد ميلادها باقة ورد. كتب فيها:

"المستقبل وهم، والماضي مجرد تفسير (شمس التبريزي)، فنحن لا نملك سوى اللحظة الراهنة فلماذا نقتل بالتفكير بما لا نملك تغيره وبما حدث ومضى أو التفكير بما لا نعلم عنه شيئًا. وهو مجهول بالنسبة لنا. فدعي الماضي والمستقبل. وعيشي يا شمس لحظتك فأنت تستحقين ذلك ... المخلص يعرب".

تلقت شمس البطاقة وشعرت برعشة في جسدها زلزلت كيانها وأخذت تمعن في الكلام المكتوب. وتفكر بأبعاده. فعلًا الماضي مضى ولم يتبق منه شيئًا. ولن نستطيع تغيره. والمستقبل فعلًا وهم فعنصر المفاجآت في المستقبل تجعله يتفلت من أيدينا.

لماذا لا أفكر فقط بالآن واترك تلك الحقبة السوداء وراء ظهري، وتذكرت أن هذه الفكرة كانت الفكرة الملحة في بداية نضجها وتفتحها في الحياة ... وتذكرت كلامها مع عبير وأحمد صديقيها في الجامعة والذين استطاعا بفضل قوة حبهما أن يتغلبا على العادات والموروثات التي برزت مخالبها لتنهش في جسد ذلك الحب .. استطاعا وبقوة أن يكونا سوية.

فعلاً كلام يعرب في مكانه وكانه نبش الحقائق التي دفنت في قاع عقلي ليبث فيها الحياة من جديد.

اتصلت شمس بيعرب وتشكرته على كلماته الرقيقة والتقته في المكتب وقالت له: كلماتك جعلتني افكر وانطلق من جديد.

قال يعرب: أنت نسيت أستاذتي فترة تألقك ونجاحك. ولم تتذكري سوى الأشياء السوداء. فلماذا جعلتِ تلك النجاحات في الجزء المهمل من الذاكرة دفنتها مع جثث متعفنة من الأحداث والذكريات. اطردي من عقلك كل هذه القذارات. واستعيدي نظافة عقلك من جديد. أنا أشعر بالخجل وأنا أطلق لك النصائح ولكن أشعر بأني أمتلك رسالة لابد أن اوجهها لك حتى يرتاح ضميري... انا من متابعيك أستاذة شمس، وكنت في كل مقال تكتبينه ابعث من جديد. فابعثي نفسك من جديد واقرعي باب قلبك وأخبريه أن الحياة جميلة واحتضني روحك وقلبك يا أستاذة شمس. فانتي شمسنا الساطعة...

- شكرًا يعرب. فعلًا أنا مدينة لك بالكثير لقد اخرجتني من حالة اللاتوازن إلى حالة من الثقة بالنفس. بالفعل يرسل الله لنا هدايا من السماء على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة ولكن هنا يأتي فهم الإنسان حكمة رب العالمين. فتصور عندما كانت تقول لي أمي (يا شمس ثقي بالله وبأن ما جرى لك كل الخير) كنت انظر إليها نظرة حقد.

فأجيبها اين الخير الذي يأتي من اغتصاب عذراء. بظروف بشعة. ما هو الخير الذي حصدته وانا أفكر بتلك اللحظات القاتمة .. أخبريني يا أمي. فانت أن لم تتعرضي للاغتصاب في حياتك. لا يحق لك أن تطلقي شعارات رنانة. إن استطعت أن تخبريني ما هو الخير فسأغلق فمي ولن اتفوه بعدها بأي كلمة.

صمتت أم شمس والحسرة تعتصرها.

- ابنتي شمس سأكون معك سطحية جدًا، وأكلمك كلام عوام. أنت تعرضت لحادثة بشعة، و أنا لا انكر ذلك. وخرجت بصدمات نفسية واستطعت اجتياز هذه المحنة .. تصوري لو كان الفاعل حاملًا لفيروس الإيدز أو آي مرض آخر. هل تتصورين كيف ستكون النتيجة فالطامة ستصبح طامتين. وأنا على يقين انك ستذكرين تلك الحادثة وتتعاملين معها بلطف. فمن المستحيل ألا يكون لله هدف أو حكمة.

لابد أن الله اختارك أنت لحكمة معينة. ابحثي عن تلك الحكمة. إن شغلت نفسك بالبحث عن تلك الحكمة. ستعرفين ذلك الخير الذي اتحدث عنه.

عانقت شمس أمها وقالت: أنا متأسفة قسوت عليك كثيرًا.

ولكن سامحيني يا أمي ...

بكت ام شمس وقالت: لا باس يا ابنتي. فثقتي بالله تخبرني أن حياتك ستكون الأفضل. فالله لا يخبئ لنا إلا الخير.

قبلت شمس يد أمها وذهبت إلى النوم ...

استمرت شمس بالعمل مع يعرب ولكنها كانت تلاحظ في ملامحه حزنًا دفينا يخفيه وراء زجاج نظارته فهو يضع محبسًا في أصبعه اليمين منذ أن التحق بالوكالة الصحفية.

ولكن لا تبدو عليه ملامح الشاب الخاطب. فقلت في نفسي لعله ارتبط ارتباط صالونات. بعد الحادثة التي تعرض له مع عائلته والذي أودى بحياة أبيه وأمه، وأسفر عنه شلل اخته الصغرى سلمى التي قام باحتوائها ومتابعة دراستها. وكأنها لا تمتلك أية إعاقة.

فكان يعربا يخاف من السرعة في كل شيء ويحب التريث دائمًا وكانت شمسًا معجبه بهدوئه والطمأنينة التي يتعامل فيها مع الآخرين.

التقت شمس يعربا ...

- أو تعلم يعرب أني أصبحت اتعلم منك الكثير وجلسات العلاج النفسي التي أجريتها لمدة سنتين لم تفعل ما فعلته نصائحك معي واسقاطاتك على الحياة.فحذرك جميل ليس مزعجًا أو مريبًا وتأنيك ممتع.

يعرب: آه يا أستاذة شمس ... الماضي كما قلت لك تفسير، وهو إحدى قواعد العشق الاربعون لشمس التبريزي فانا عندما قرات هذه القاعدة بات حملي خفيفًا. وكأن جبال أحد نزلت عن كتفي ...

فتعاطيت مع الحادث الذي جرى لي مع اهلي ونحن في طريقنا لنصطاف على البحر، ونحن نحلم في الوقت الذي سنسبح فيه في البحر ونشاهد شروق الشمس وغروبها. وتلك الأعمال الاعتيادية في كل اصطياف. فنحلم بمذاق السمك وأطباق المقبلات الشهية. ولكن القدر غيّر كل شيء، وانقلبت السيارة. وكانت النتيجة وفاة أمي وأبي. وشلل الجميلة سلمى. فادركت حينها إنه فعلًا المستقبل وهم. ولابد لنا أن نعيش اللحظة الراهنة. فاشتغلت على هذه النقطة وجعلتها مبداي في الحياة. ومن خلالها استطعت مساعدة سلمى ذات ١٦ عام في تجاوز محنتها، وإن نتعامل مع إعاقتها بحب.

شمس: بحب!! كيف ربطت الإعاقة بالحب يا يعرب .. كيف كذلك؟!

- اسمعيني أستاذة .. لا تظني أبدًا أن الله اذا اخذ من الإنسان شيئًا ورضي ذلك الانسان. بأن الله سوف يعوضه ويعطيه عطاء باهرًا. فالله يا أستاذة شمس يحبنا. فمثلا أنت أن عاقبت ابنك وازداد سخطه ستقومين

بمعاقبته بشكل أكبر، وتغالين بالغضب ولكن أن عاقبته ورضخ إلى الأمر الواقع. فتجدين في نفسك عطفا خاصا عليه فيتحول العقاب إلى عطف وحنان وكأن الله يربت على كتف عبده المبتلى الذي رضي بقضائه ... وهذا بالفعل ما حدث مع سلمى فأصبحت محط اهتمام المدرسين بسبب ذكائها الذي بدأ بالبروز بطريقة مختلفة ومذهلة وهي الآن في السنة الثالثة في كلية الطب البشري. وهي دائمًا تحتل المرتبة الأولى على الدفعة. واظن أن لها مستقبلا طبيًا باهرًا وأنت يا أستاذة شمس تعاملت مع إعاقتك بنفس الطريقة وبت ترينها ميزة وليس نقصًا.

ملأت الدموع عيني شمس وقالت: ونعم بالله. ولكن يعرب كم سنة ستدوم خطبتك. ألست متشجعا لتصبح أبا.

أطرق راسه ورفع نظارته جيدًا ونظر في عيني شمس، وقال لها: ليس الآن. فقصة إعاقتي طويلة، أفضل أن أقصها في وقت اكون فيه أقل انشغالا .. عمت مساء أستاذة شمس.

في اليوم التالي كانت شمسًا تتصفح الصحف والمجلات وتجري بعض التعديلات على بعض الموضوعات ... طرق باب المكتب.

قالت: شمس تفضل.

وهي تتابع شاشة اللابتوب

- يسعد مساكِ شمس (بلهجة لبنانية).

برقت عيون شمس وقالت: مسيو آدم!!! ما هذه المفاجأة السعيدة. أنت لن تتغير أبدًا. عنصر المفاجأة لن يغادر شخصيتك وهذا الجانب يشدني إلى شخصيتك مع العلم اني اكره المفاجآت بكل انواعها ولكنك يا آدم لاتزال مختلفًا.

- نعم يا شمس ولك عندي مفاجأة أخرى.

شمس بغرابة: وما هي .. يلا بابا تعالي.

دخلت فتاة عمرها حوالي ٤ سنوات. عينان خضراوان بشرة سمراء غمازتين.

- مرحبًا طنط شمس بابا خبرني عنك كتير. ومن كتر ما بحبك سماني على أسمك .. أنا شمس السعد.

شهقت شمس شهقة عالية وقالت: تعالي حبيبتي .. كم أنت جميلة .. ما شاء الله. فعلًا فاجأتني.

شمس: وأين المدام.

شمس الصغيرة: ماما ماتت.

انصعقت شمس وبكل ذهول: ماتت ياالله!! قلي يا آدم ما الذي جرى. كيف جرت الأمور هكذا؟ أرجوك أخبرني.

آدم: لا شيء زوجتي ضحت بحياتها لتأتي بشمسي إلى الحياة. كان مخاضها عسيرًا والولادة صعبة. كانت شمس متعبة ولكن الحضانة استطاعت أن تساعدها في الاستمرار في الحياة. ولكن نزف العطالة الذي أصيبت به

زوجتي المرحومة فاتن كان صاعقًا. واستئصال الرحم لم يكن كافيا لإنقاذ حياتها ...

شمس: آه كم اشعر بالأسف. هذا يعني أن ابنتك وأمها لم يكتب لهما رؤية بعضهما ... رحمها الله.

وفكرت شمس حينئذ كم من نعمة نعتبرها نحن بنو البشر إنها بديهية والكثير حرم منها فشمس الصغيرة لم يكتب لها أن تنطق كلمة ماما ما أقساه هذا الشعور وللأسف نحن ننسى تلك النعم وننظر فقط إلى الأشياء التي تنقصنا ...

تابعت شمس مع آدم: وكيف تصرفت مع ابنتك ولماذا لم تخبرني بالذي جرى ألم يخطر لك أن هذا الموضوع يهمني لماذا لماذا؟

آدم: الوضع كان صعبًا جدًا ... وانا لم اصح من هذا الكابوس المزعج إلا على كابوس أكثر إيلاما.

شمس: وما هو ...

آدم: نبأ اختطافك يا شمس .. لقد شعرت بالذعر وقلت هل من المعقول أن أفقد شمسًا أيضًا. فلم يكفني أن أطلق اسمك على ابنتي .. لابد أن تبقي على قيد الحياة أيضًا فحتى لو كنت بعيدة .. أنا أشعر بالسعادة والطمأنينة.

شمس: فعلا كان كابوسًا مزعجًا. لقد فقدت الكثير من اتزاني ولكن بفضل الله ومساعدة بعض الأصدقاء تجاوزت محنتي.

وفي هذه اللحظة دخل يعرب ...

قالت شمس: ابن الحلال عند ذكره يبان. هذا الاستاذ يعرب صحفي مبتدئ ولكنه متميز جدًا واتوقع له مستقبلا صحفيا ناصعا. هذا مسيو آدم رجل أعمال لبناني وهذه ابنته شمس.

يعرب: آه شمس حبيبتي. كم أنت جميلة ولطيفة. هل تريدين بعض الشوكولا يا حلوة.

قالت شمس الصغيرة: نعم أنا أحب شوكولا الكندر.

قال لها: تعالي معي إلى المكتب ولربما تجدين شيئًا ألذ من الكندر.

أمسك يعرب يد الفتاة وأخذها إلى مكتبه وطلب لها من البوفيه مجموعة من الشوكولا والألعاب وقضت وقتًا طويلًا وهي تلعب مع يعرب. وكانه رأى في شمس الصغيرة شيئا ملفتًا للنظر ..

آدم: كيف حالك شمس؟ .. اشتقتك جدًا.

شمس: أنا بخير ... أحاول أن اتعايش مع واقعي ولابد أن الحياة الالكترونية ساعدتني لتجاوز محنتي. فما جرى معي لو لم يكن هناك ما يشغل الناس. لكنت شغلهم الشاغل وموضوع الشارع والحي والبلد .. وسيكبر الموضوع مع الأيام ولن يصغر ولربما اتحول إلى جانية بعدما كنت المجني عليها ...

آدم: فعلًا يا شمس .. الناس غرقوا في اشياء كثيرة وكل يوم يوجد أحداث جديدة .... ولكن أنا لا أسألك عن هذا. أسال عن شمس التي التقيتها عند صخرة الروشة. شمس التي فلسفت لي العشق بمشهد الغروب.

شمس: آه آه يا آدم. هل تذكر ذلك اليوم الجميل؟

آدم: في هذا اليوم تغير تاريخ ميلاد قلبي الجديد. وتغيرت إحداثيات قلبي. وبت غير قادر على ترتيب الفوضى في قلبي التي احدثها حضورك، وظهورك في حياتي. وكأنك ارسلت إلى كملاك من السماء. كم كنت ملتهبة بالحب غير المنطوق. فيك مس العشق فيك حرارة الحب غير المحسوسة. كنت مذهلة دخلت قلبي وافترشته وأغلقت الأبواب وبقيت هناك. ومن فرط حبي لك لم أرض أن تتزوجي رجلًا بطرف اصطناعي. ووقتها علمتني ما معنى الإعاقة. وعلمت وقتها كم كنت مغفلًا. وكيف خسرتك بطريقة غبية ولكن صدقيني كان فرط حب وفرط اهتمام. وفرط إعجاب .. أتصدقين يا شمس اني استكثرتك على نفسي. فانت تجاوزت كل التطلعات والمواصفات. وكأنك مجرة أو كوكب جديد. يحتاج إلى سكان جدد قوانين جديدة. أشجار أزهار. فعلا أنت بالنسبة لي كنت حلما ولازلت وأنا لم اكف عن حبك أبدا .. بالحقيقة .. يا شمس أنت قبيلة نساء.

ضحكت شمس ضحكة خجولة كالعادة ولمعت عيناها وتنهدت تنهيدة عميقة وقالت: آدم ماذا تقول ... لم افكر يوما ما باننا سنلتقي فعلا أنت غريب. ولم اصل إلى الآن إلى طريقة تفكيرك. ولكن الأيام بيننا .

وضع آدم يده على يد شمس وضغط عليها وقال لها: أحبك شمس احبك هذا كل شيء دخلت الصغيرة شمس.

- ابي انظر ماذا اعطاني عمو يعرب.

يعرب: هل اصبحت عمو يا شموسة؟

- ابي .. عمو يعرب لطيف جدًا وطنط شمس كذلك.

آدم: وأنا يا شمسي الصغيرة ألست لطيفا؟ أنا زعلت منك يا شموستي.

- لا يا بابا أنا أحبك جدًا كلكم لطيفون تعالوا وأقيموا معنا في منزلنا فهو كبير جدًا وسنلعب كل يوم حتى المساء ضحك الجميع من تلقائية شمس وفي تلك اللحظة شعر آدم انه يريد أن يلتهم ابنته وكأنها قطعة حلوى، وقال: تعالي يا حبيبتي واعطني قبلة فانا أحبك حقًا.

ونظر في عيني شمس وقالت شمس: وأنا أريد قبلة أيضًا منك يا صغيرتي.

ركضت شمس الصغيرة اتجاه شمس وقبلتها ...

قال آدم: لقد اخذنا من وقتكم ولابد انكم تعطلتم عن العمل بسببنا، وسنبقى على تواصل.

شمس: اجلسوا .. أرجوكم.

قال آدم: ستملين مني فانا سأقيم في دمشق لمدة ثلاثة شهور.

شعرت شمس بالسعادة وقالت: إذا سأدعوكم على العشاء الليلة. وسنذهب إلى مطعم فيه ألعاب اطفال.

وتدخل يعرب: هل أنا مدعو؟

ضحكت شمس بالطبع أنت واختك سلمى، لقد تشوقت لأتعرف عليها.

يعرب: هذا لطف منك سيدتي ولكن اخاف أن يكون هذا تطفلا ولا أريد أن أحرجك.

شمس: بالطبع لا يوجد احراج وأظن أن هذا راي مسيو آدم.

آدم: بالطبع وستكون سهرة مميزة. سأنصرف الآن ولقاؤنا عند الساعة التاسعة. اتفقنا ..؟

شمس ويعرب: اتفقنا ...

غادر آدم غرفة المكتب ولايزال قلبه يتلفت، ممسكا يد ابنته شمس.

قال يعرب محدثا شمس: الطفلة شمس رائعة وحادة الذكاء وتبدو اكبر من عمرها .. لقد فاجأتني بردودها السريعة وثقتها بنفسها وثباتها ... تشبهك كثيرًا ... أقصد بالروح ... روحها تشبه روحك.

شمس: شكرا يعرب ... دعك من هذا واخبرني ما هي قصة المحبس.

قال يعرب: آه يا أستاذة ستفتحين جرحًا. لا أظن أني سأقوى على تضميده أو المساعدة باستشفائه.

شمس: آه لقد شوقتني.

يعرب: غزل كانت صديقة الطفولة كبرنا سوية وكنت ألاحظ تطورها. احفظ تفاصيلها عن ظهر حب. اعرف عنها ما لا تعلمه عن نفسها.دخلنا نفس الاختصاص في الجامعة.

غزل كانت جميلة حالمة تمتلك أنوثة طاغية. وكان يعرب دائم الكآبة لها والتغزل فيها.

كتب لها مرة:

"شهية أنت كفاكهة الجنان
فيك من الحسن ما يعجز عن وصفه اللسان
في عينيك موسوعات العشق والغرام
تخطين بضحكتك على قلبي
خارطات الأحلام ...
من خصرك تنطق ابجديات قدام
ماذا أفعل بحسن اجتاح قلبي
وصار في محراب حسنك ناسكا
يقيم صلوات الوصال ..
المحب يعرب".

كان حب يعرب لغزل منتشرًا في الجامعة والكل يعلم أنهما عند التخرج سيتزوجان وفي كل يوم كان يتسع هذا الحب ليصبح ملء الأرض والسماء وبالفعل تمت الخطبة.

قال يعرب: وعندما ذهبنا إلى إعداد الكشف الطبي والذي كان من بديهيات عقد الزواج للكشف أن كان لاحد الزوجين مشاكل لاتمام الزواج والإنجاب. ذهبا إلى المركز الصحي وقامت الطبيبة بسحب الدم وأخذ العينات. وقالت بعد يومين بإمكانكم القدوم للحصول على نتيجة الفحص الطبي.

وبالفعل كان يعرب قد رتب كل أوراق عقد القران، ولم يتبق سوى ورقة الفحص الطبي.

- ذهبت أنا وغزل إلى المركز الصحي. وذهبت إلى الريسبشن واخبرت موظفة الاستقبال باسمي واني اريد الحصول على نتيجة الفحص الطبي.

قالت الموظفة: ما اسمك سيدي واسم خطيبتك.

قلت: أنا يعرب وخطيبتي غزل.

قالت: حسنًا الطبيب يريد رؤيتكما.

هنا انقبض قلب غزل ويعرب وذهبا وهما يحتبسان الأنفاس

دخل يعرب ...

- مرحبا دكتور أنا يعرب وهذه غزل خطيبتي.

قال الدكتور: أهلًا وسهلًا. الفحوصات لا يوجد فيها مايمنع من الزواج لا تقلقا من هذا الموضوع.

أمسك يعرب يد غزل وشد عليها وهو يبتسم ولكن ما قاله الطبيب لاحقًا كان مفزعا للغاية ....

- حسنا عزيزتي غزل تحاليلك غريبة وانصحك أن تعيدي التحليل في مركز آخر.

غزل: ارجوك دكتور ماذا تقول التحاليل؟

قال الدكتور: مبدئيا .. تعداد الكرات البيض عالي جدًا وهذا مؤشر غير جيد ولكن لن نتكلم عن شيء قبل أن تعيدي التحليل.

يعرب: نظرتُ إلى غزل وقتها وشعرت أن شيئًا ما انتزع منها شيئًا لا استطيع أن اصفه. غادر ملامحها تفاصيلها. عانقت غزل وقلت لها لا تخافي يا حبيبتي تأكدي أن كله خير فمن المؤكد أن الله سخر لنا هذه التفاصيل لحكمة معينة .. لأطمئن على صحتك وسلامتك فانا أحبك غزل لروحك الحلوة. لشيء مالا اعرفه هالة تحيط بكياني عندما افكر فيك مجرد تفكير فما بالك كيف تتسع هذه الهالة عندما أراك.

ضحكت غزل وقالت: أشعر بالخوف لا أعرف لماذا ...

قلت: لا باس عليك حبيبتي ... أنت ستكونين بخير.

- المهم أجرت غزل التحاليل وكانت الصاعقة انها مصابة بسرطان دم.

انهارت غزل وانهار يعرب ولكنه ظل متماسكا وقال: أنت اقوى من السرطان .. أتعلمين يا غزل أنت ازددت جمالًا بالسرطان.

انهارت في حضني وبكينا واغرقت دموعهما الحي بأكمله ...

راجعت الطبيب الذي يعالج غزل وسألته عن وضعها.

- الطبيب: ومن تكون أنت؟

- أنا خطيبها ...

أطرق الطبيب راسه وقال: لن أخفي عليك وضعها سيء جدًا، ولا أظن أنها لن تعيش أكثر من ثلاثة شهور ... وأنا لا اؤيد فكرة العلاج الكيميائي. دعها تعيش ما تبقى لها من ايامها بسلام. دعها تموت دون

أن ترى شعرها وهو يتساقط عيشوا اللحظة ... ولا تحرق اوردتها بعلاج كيماوي يجعلها تتمنى الموت ..

اسودت الدنيا بعيني يعرب وقال: ما هذا الحظ الأسود؟ ولكن لن يغير هذا الخبر من شيء ولن أغير موعد الزفاف ... وفعلا تزوج يعرب غزل بوقت قياسي وتعالجت علاجًا طبيعيًا وهو تجويع الخلايا السرطانية ولكن كل المحاولات باءت بالفشل وكان السرطان أقوى من الحب وأقوى من الرغبة في الحياة.

في صباح يوم ربيعي ماتت غزل في حضن يعرب وهو يعلم انها كانت تحتضر وتقول له: أترى تلك الاشجار التي اراها وهؤلاء الاطفال يمسكون بثوبي الأبيض. احبك يعرب أرجوك لا تتركني.

كان يعرب يكتم بكاءه ولكن دموعه تساقطت على وجه غزل، سقت دموعه على وجهها والذي أصبح وكانه فاكهة ناضجة حدق يعرب في وجهها وعلم إنها فارقت الحياة .. عانقها وصرخ بأعلى صوته غزل غزل ارجوك لا تتركيني ....

تساقطت دموع يعرب وهو يقص قصته على شمس وكذلك شمس التي استهلكت علبة المحارم الورقية وهي تمنع تسلل الدموع من عينيها وتمنع سيلان انفها.

قالت شمس: انا آسفة، لقد فتحت جراحك وانا اعلم انك قادر على تجاوز محنتك.

- ها قد مضى عام على فراق غزل ولكني لا ازال أراها في كل زوايا المنزل ... بالفعل لن اتعافى منها ...

شمس: انا جربت شعور الفقد ولكن الفقد المرهون بالبقاء. من الصعب أن تفقد شخصا وهو لايزال على قيد الحياة فهذا الفقد يكون معيباً وناقصًا ومريضًا ... وقاتلًا ... فانا لا اقول أن فقدك فقد جميل ولكن فقدك لم تتخلله خيانة أو خيبة أمل فالعوامل الخارجة عن إرادتنا لا نستطيع التحكم بها ...

- شمس اتمنى لك حياة جميلة وانا أعلم أن شيئًا جميلًا بانتظارك نعم أراه وأشعر بطاقته تحيطك من كل مكان.

- الآن قد علمت كيف تفكر أنت يعرب ..

يعرب: هل من الممكن أن اسالك استاذة سؤالا خاصا ...

شمس: تفضل ...

- مسيو آدم وشمس .. أنا متأكد انكما في يوم من الأيام كنتما قاب قوسين أو ادنى من الارتباط ...

ضحكت شمس وقالت: آها طبعا لم تكن مصادفة أن يطلق على ابنته اسم شمس .. ولكن القصة لم تكتمل وأنا الآن بدأت أفهم كيف أن الماضي ليس سوى تفسير ... لا تنس دعوة العشاء ولا تتأخر أنت وسلمى. انا بشغف لأتعرف عليها.

يعرب: حسنًا سأكون عند الساعة التاسعة هناك ...

عاد يعرب إلى المنزل والتقى اخته وجهزها للذهاب إلى العشاء.

سلمى: عشاء عمل وانا لماذا لأكون بينكم؟!!

يعرب: ليس عشاء عمل ولكن عشاء تعارف ومديرتي شمس تريد أن تراك.

سلمى: حقا؟ لماذا تريد أن تراني.

يعرب: لا شيء ولكن تحدثت لها عن تفوقك في الدراسة. وكيف استطعت تجاوز المحنة. ولربما تريد أن تذكر قصتك في أحد الأخبار. وتقوم بصياغته بطريقتها وبنكهتها.

سلمى: وكأنك معجب بمديرتك يعرب ...

يعرب: من الطبيعي اذا كان المدير مميزًا أن يكون محط إعجاب موظفيه وخصوصًا إذا كان مثل الأستاذة شمس التي تمتلك طاقات هائلة في احتواء الآخرين ومجاراتهم ... عندما ترينها ياسلمى ستزول كل إشارات الاستفهام ...

- يعرب أرجوك لا اريد الذهاب اذهب وحدك وأنا سأتدبر امري.

يعرب: أن لم تذهبي لن اذهب فلن أتركك لوحدك.

وجلس يعرب وهو ينتظر جواب سلمى. وافقت سلمى الذهاب إلى العشاء ولكن على مضد .. فهي كانت تحب الخلوة مع نفسها كثيرا وتحاول الابتعاد عن الآخرين في الحياة الإجتماعية.

تجهز يعرب وسلمى واجتمعوا مع آدم وابنته والأستاذة شمس.

دخل يعرب وهو يجر كرسي أخته سلمى التي بدت كالملاك داخل هذا الكرسي. وقفت شمس ووقف آدم لاستقبال سلمى، فكان دخولها له نكهة خاصة. فتاة في مقتبل العمر لا تفارق الضحكة وجهها ومتفوقة وعيناها كتلة من الأمل والحب.

شمس: أهلًا بالجميلة سلمى.

سلمى: الأستاذة شمس. لا تعلمين كم انا محظوظة لأني التقيت بك ..

شمس: بل أنا المحظوظة.

أنا اعرفك منذ أن التحق يعرب بالوكالة الصحفية وحديثه دائمًا عنك وعن تميزك. وحلمه أن يصبح مثلك.

قاطع آدم الحديث: أحم أحم ... لابد انكم نسيتم تواجدي بينكم ونسيتم شمس الجميلة.

ركضت شمس الصغيرة اتجاه سلمى وقبلتها: كيفك طنط سلمى لماذا تجلسين على كرسي متحرك .. ألا تستطيعين المشي؟

ضحكت سلمى وقالت لها: لا أستطيع السير.

شمس الصغيرة: ولكنك تمتلكين قدمين ولا تستطيعن المشي؟ وأبي فقد أحد قدميه وركب طرفا اصطناعيا واستطاع المشي. راجعي طبيب أبي وركبي قدمين لتستطيعي المشي.

شعر الجميع بالحرج ولم يستطيعوا إسكات شمس فهي طفلة.

آدم: طفلتي الثرثارة شمس. كفي عن مضايقة سلمى.

سلمى: بالعكس.

وحاولت سلمى امتصاص جو الارتباك الذي سيطر على الجميع ونادت شمس الصغيرة: سأخبرك شيئًا يا شمس، تعالي واجلسي في حجري لأخبرك بالقصة.

"كان ياما كان في قديم الزمان. كان هناك فتاة جميلة جدًا اسمها شمس. وكانت شمس مدللة أبيها. وكانت من المتفوقين في المدرسة .. مرة من المرات كانت تلعب مع صديقاتها في المدرسة ... وفجأة وقعت شمس على الأرض حيث قامت إحدى صديقاتها بدفعها عمدا .. وقعت شمس على الارض وتألمت كثيرًا .. واسعفوها إلى المشفى.

جاءت المدرسة وسالتها، من قام بدفعك يا شمس .. قالت لا أحد، فاستغرب أبوها الذي كانت قد اخبرته أن صديقتها نيفين قامت بدفعها لان شمس متفوقة على نيفين ... ولكن ام شمس كانت تنصحها بمسامحة الآخرين. وعندما تعافت شمس وعادت إلى المدرسة. التقتها نيفين واعتذرت منها. وأصبحتا صديقتين".

فقالت سلمى: وبهذا نستفيد من القصة أن لا نحقد على احد فالحقد لا يورث سوى المرض للقلب. فكوني يا شمسي سليمة الصدر تكونين اجمل وتوتة توتة خلصت الحتوتة.

سالت شمس: ولكن ما معنى سليمة الصدر؟
فأجابتها سلمى: أن يكون قلبك صافي. لا تحقدين على احد.
وقالت شمس الصغيرة: أنا أحب كل الناس ...
فقالت: بالحب يا شمس الصغيرة تستطيعين أن تتجاوزي كل الصعاب.
نظر آدم إلى سلمى نظرة ود وكذلك شمس ويعرب، فسلمى تجاوزت مشكلتها وبدت بصحة نفسية أكثر من الحاضرين.
نزل الطعام إلى المائدة وتناولوا طعام العشاء ورن هاتف يعرب في تلك الأثناء وتغيرت معالم وجهه وشعر بالذعر وقال: حسنًا خلال دقائق سأكون هناك .. وجرى مسرعًا.
جرى آدم وراءه وبقيت شمس وشمس الصغيرة وسلمى. الذين توقفوا عن تناول الطعام مستغربين سبب مغادرة يعرب بتلك الطريقة ...
وضعت الاستاذة شمس يدها على كتف سلمى وقالت: لابأس. مهما كان الموضوع خطيرًا فانا أثق بيعرب .. أنت لا تعلمين كم أنا مدينة له ... لا تقلقي عزيزتي، سأتصل بآدم لأعرف ما حدث.
- الو مسيو آدم اخبرني ماذا حدث، فنحن قلقون جدًا.
آدم كان مرتبكًا نوعًا .. صوته لم يكن مطمئنًا.
- مسيو آدم أين يعرب؟ .. أرجوك.
قال: لقد تعرض منزل يعرب للحريق بسبب ماس كهربائي.

فالجار اتصل به وقال له الدخان والسنة اللهب تخرج من منزلك ونحن استدعينا الاطفاء ولكن للأسف البيت احترق وأصبح هشيما والشرطة تحقق في اسباب الحريق ويبدو انه ماس كهربائي ... ولكن لا أعلم لماذا يعرب يبدو منهارًا إلى هذه الدرجة ويبكي وكأن له أحدًا في المنزل.

قالت شمس: أرجوك اوصلني به.

قال آدم: أنا مستغرب ردة فعله.

قالت شمس: حسنًا ... سأقفل الآن لأطمئن سلمى.

اقتربت شمس من سلمى وقبلت راسها. قالت سلمى: ما الذي حدث .. هل اخي يعرب بخير أرجوك ..؟

قالت: نعم هو بخير ... ولكن ...

سلمى: ولكن ماذا؟ .. ارجوك لا تخفي عني شيئًا.

قالت شمس: على ما يبدو أن هناك ماسا كهربائيا أدى إلى احتراق منزلكم بالكامل ...

سلمى: يا إلهي ماذا تقولين؟ .. بالتأكيد هذه ليست حقيقة.

شمس: للأسف هذه حقيقة.

انفجرت سلمى بالبكاء ...

استغربت شمس وقالت: لماذا تبكين ..؟!! ومسيو آدم مستغرب رد فعل أخوك يعرب. اخبرني مسيو آدم أن يعرب منهار ويبكي بكاء الشخص الذي فقد عزيزا.

قالت سلمى: أعلم.

استغربت شمس وسألتها: لماذا؟؟!!

قالت سلمى: عندما اخبرني يعرب بموضوع العشاء .. لم تروق لي الفكرة ورفضت المجيء وقلت له سيكون عشاء عمل ممل وكنت مصرة على المكوث في المنزل .. ولكن يعربا ترجاني وعندما استيأس مني قال إن لم تذهبي يا سلمى فأنا أيضا لن اذهب .. فلن اتركك في المنزل لوحدك. قلت ليعرب انا لست فتاة صغيرة واستطيع خدمة نفسي فلاتكن أحمقا واذهب للقاء شمس ... فلو استجاب لي يعرب لكنت الآن محروقة في المنزل أو كنا متنا سوية فأظن أن هذا ما جعل يعرب ينهار. وكأن دعوتك لي أنا ويعرب على العشاء كانت وسيلة لمنع قدر محتم محزن سيحل بنا، فالآن ياأستاذة شمس نحن مدينون لك بحياتنا.

قالت شمس: يا إلهي!! لا تفكري بهذا الأسلوب واحمدي ربك واشكريه على لطفه ... وعانقت شمس سلمى وانفجرتا بالبكاء.

وفي تلك الأثناء تلفتت شمس وسلمى وكأنهما افتقدتا الصغيرة شمس فوجداها قد نامت كالملاك على كرسي المطعم. واتصلت شمس بآدم لتطلب منه أن يسرع لأن الصغيرة شمس نامت ...

اجتمع الجميع في المطعم واتفقوا أن يمضي يعرب وأخته سلمى الليلة في المنزل المجاور لمنزل آدم والذي كان ملكا لآدم ... يستخدمه في حالات الطوارئ ... ولربما جاء الوقت المناسب.

قالت سلمى ليعرب: الاستاذة شمس رائعة جدًا وكنت اظنك تبالغ فعلا فهي تستحق واكثر ولكن هل لاحظت الإعجاب المتبادل بين مسيو آدم وشمس .. قال يعرب نعم هذا واضح. وأنا على يقين أن هناك قصة قديمة بينهما نحن لا نعلمها .. ولابد انه جاء الوقت المناسب ليكونا سوية.

في صباح اليوم التالي .. في الوكالة كان يعرب جالسا مع شمس يعدون تقريرا صحفيا وفجأة فتح الباب بقوة .. وتفاجأت شمس بقدوم مصطفى، كان غريبًا مختلفًا شكله كالوحش الكاسر أنفاسه وكأنها تخرج من بركان وقال لشمس: لماذا لا تردين على رسائلي.

شمس: أرجوك مصطفى الموضوع محسوم.

يعرب: الموضوع يبدو أن الأمر خاصا سأخرج استاذة شمس.

قالت: لا يعرب .. أبق هنا.

فلا وقت لدي لهذا الهراء.

صرخ مصطفى: شمس انا أحبك أرجوك اسمعيني.

شمس: انا متأكدة انك تناولت جرعة حشيش وانت تحت تأثيرها الآن. أخرج من فضلك.

مصطفى: لن اخرج ولن أدعك لرجل غيري.

تدخل يعرب وقال له: استاذ مصطفى أخرج من هنا .. هذا مكان محترم التزم ادبك أو أخرج.

نظر مصطفى بشمس وقال لها: هذا هو حبيب القلب الذي ترفضينني لأجله ساقتله وأقتلك.

وهجم على شمس يريد أن يصفعها على وجهها فاعترضه يعرب وقام بالدفاع عن شمس التي هربت لتستدعي أمن المجلة .. وبالفعل قام امن المجلة بطرد مصطفى الذي توعد لشمس ويعرب بالانتقام.

انهارت شمس بعد خروج مصطفى وانفجرت بالبكاء.

قال يعرب: لا تبكي عزيزتي، هو مجنون وتحت تأثير الحشيش.

قالت شمس: أنا السبب.

نظر إليها يعرب بغضب وقال بصوت مرتعد: كفي عن تحميل روحك أعباء لا تطيقها .. لماذا تفعلين هكذا بنفسك؟ فلا مبرر له أن يتعاطى الحشيش. والحب لا يأتي عنوة ..

قالت شمس كنا نحب بعضنا وقصت عليه قصت له قصة مصطفى ...

قال يعرب تبا له: ويأتي بكل وقاحة ... صدقيني إذا رايته مرة ثانية في المجلة سأسلمه إلى الشرطة.

قالت شمس مصطفى جبان: لن يأتي مرة أخرى .. دعنا نكمل ما بدأنا به.

استأنفا العمل وكأن شيئا لم يكن ولكن يعرب كان مستاء جدًا من تصرف مصطفى .. استياءه كان أكثر من شمس الذي شعر إنها لاتزال تحمل بعض هالات الحب لمصطفى ومن الواضح أن مصطفى أناني وفاشل ويريد أن يقهر فشله برجوع شمس إليه.

مصطفى لا يحب حتى نفسه فكيف له أن يحب شمس. لابد أن حبه لها كان استنزافا ... ومرضا ... ولكن نقاء شمس احتوى نقص هذا الحب وتناقضاته وزواج مصطفى هو الذي انقذ شمس من مكيدة مصطفى.

التقت شمس آدم في الكافية القريب من الوكالة الصحفية، وسالته عن ابنته: فقال لها مع المربية في المنزل.

قالت شمس: ابنتك طفلة ذكية. ويكفي أن اسمها على اسمي.

وضحكت شمس، فقال آدم: تواضعك افزعني .. وضحك ضحكة عالية.

قال آدم: ألم تفكري يا شمس بعرض الزواج الذي قدمته لك.

ابتسمت شمس وقالت: يا الله هذا المشهد اصبح مكررًا وكانه جرى بالأمس. اذكر وقتها كم طرت من الفرح ولكني اخفيت مشاعري للحفاظ على كبريائي ولكن سرعان ما هزمت تلك الكبرياء الحمقاء وارسلت لك إيميلا وكنت اتوقع ردا سريعا منك ... وخذلت وقتها وشعرت إني اوقعت نفسي في خِفي، وأنك لم تكن جادا في طلب الزواج بسبب اختفائك المفاجئ والذي علمنا سببه لاحقًا. كم كانت أيامًا سوداء. آدم أنا قبلت بعرض الزواج منك، ويسعدني أن اشاركك تربية ابنتك شمس.

فرح آدم وشد على يد شمس وقال: إذا فلنسرع بالإجراءات ولا وقت لدينا لإضاعته ... سأذهب وأخبر ابنتي شمس وانت اخبريني بالمدة الزمنية التي تحتاجينها لنكون سويا إلى الأبد.

فقالت: عشرة ايام كافية لتحضير نفسي للزواج.

فقال آدم: اتفقنا واليوم بإمكاننا أن نكون سوية على الغداء مع يعرب وسلمى لنتفاجأهما بالخبر السعيد.

حان وقت الغداء باجتماع الجميع وقال آدم: انتم اليوم هنا لأزف لكم خبر ارتباطي بشمس. لقد تأخر هذا الارتباط ... ولكن لابد انه كان ينتظر الوقت المناسب.

فرح يعرب وسلمى والصغيرة شمس وقام آدم بوضع محبسٍ في إصبع شمس وقبلها. تفاجأت شمس وقالت: لم تخبرني انك ابتعت محبسا لأجلي.

قال آدم: أنا رجل المفاجآت ... الم تخبريني بذلك؟!!

قالت سلمى: ومتى العرس؟

قالت شمس: لن نقوم بمراسم زفاف. حفلة بسيطة عائلية في المنزل.

قالت سلمى: سأكون من المدعوين.

قالت شمس: بكل تأكيد أنتم عائلتي الثانية.

وبعد يومين كان يعرب مشغولًا مع شمس لإنهاء الأمور الحساسة لتسلمه الإدارة أثناء غيابها في شهر العسل وكانت شمس تعطي يعرب التوجيهات .. والارقام التي لابد له بالاتصال بها في حال احتاج إلى مساعدة ... ليكون العمل متكاملًا.

قالت شمس: حسنا يعرب فانا اعتبر الآن أن كل الأمور اصبحت على ما يرام ... سأتركك واتمنى لك إدارة موفقة وأنا اثق بك كثيرًا.

وعندما همت بالخروج من المكتب دخل مصطفى بحالة مزرية.

يعرب: أنت ثانية اخرج منها .. وإلا استدعيت لك الشرطة ...

قال مصطفى: لا يهمني ذلك .. طالما اني سأموت انا وحبيبتي شمس الآن.

وأخرج مصطفى مسدسًا ووجه اتجاه شمس التي وضعت يدها على وجهها وصرخت ... وسمعت صوت الطلقة ولكنها لم تصب باي اذى حدقت جيدًا ووجدت أن يعرب سقط على الأرض والدماء تسيل منه حيث أنه هجم على مصطفى ليمنعه من اطلاق النار ولكن مصطفى كان أسرع.

صرخت شمس: أيها الأحمق قتلت يعرب!!!!!

فهرع أمن المجلة للقبض على مصطفى وتم تسليم مصطفى للشرطة لمحاكمته. وتم اسعاف يعرب إلى المشفى الذي فقد الكثير من الدم تبرعت له سلمى وآدم بسبب تطابق زمر الدم ... وظل تحت العمل الجراحي لمدة ستة ساعات.

خرج الطبيب: وقال الحمد لله لقد نجا الشاب بأعجوبة فمكان الرصاص حساس جدًا ولكننا نحتاج إلى ٤٨ ساعة لنتأكد إنه تجاوز الخطر.

كانت شمس تشعر بالإحباط وخيبة الأمل فهي السبب بالذي جرى ليعرب وكانت جالسة امام غرفة العناية المركزة ودموعها لم تجف.

اقتربت سلمى منها صدقيني أستاذة شمس. أنت لست السبب بالذي حدث لأخي وعندما يتعافى اخي سيخبرك انك لست السبب. أي احد مكان يعرب سيفعل ما فعل .. مصطفى تعاطى الحشيش لينفذ خطته. هل تظنين انه لو جرى لك شيء هل سيسامح يعرب نفسه؟

قالت شمس: اذا فكيف لي أن اسامح نفسي؟!

سلمى: انا لم اقل ما قلته لتلومي نفسك .. يعرب سيتعافى. وارجوك لا تؤجلي موعد الزواج.

جاء آدم وقال: شمس حبيبتي سنؤجل موعد الزفاف حتى يتعافى يعرب فكلنا مدينون له بحياتك. واقل شكر له أن ننتظره ليتعافى.

تجاوز يعرب مرحلة الخطر ... وتعافى .. تم زفاف آدم وشمس أخيرًا وامضيا شهر عسل في أوروبا وشمس أصرت على اصطحاب ابنة آدم.

أمضت شمس وآدم أيامها جميلة وكانت إقامتهما بين لبنان ودمشق بسبب ظروف عمل شمس والتي كانت خطا أحمر بالنسبة لها.

حملت شمس وأنجبت طفلا وأطلقت عليه اسم رشيد على اسم والد آدم.

كتبت شمس بتغريدة لها:

"رسالة إلى العاشقين الحب أعزاءي ليس شيئا عاديا الحب الحقيقي هو الذي يتكشف بالمواقف .. ليس شرطا أن تنذر قلبك وروحك

لأحدهم لتكونا لبعض .. فالحب شيء غريب يظل يفاجئنا بمفاجآت هذه المفاجآت هي برهان هذا الحب .. فهناك من يحتمل هول المفاجأة، ويكمل وهناك من ينسحب عند أول مطب. فكلما زادت المطبات تعزز وترسخ ذلك الحب.

كونوا صادقين مع انفسكم ومع قلوبكم. وأحبوا أنفسكم حتى يتسنى لكم أن تحبوا الآخرين. مصطلح الحب مصطلح واسع فلا تقيدوه بقيود حتى لا ينقلب عليكم. فالكشف المبكر عن سرطان الحب ليس شرطًا بالحد من انتشاره .. قد تتساءلون لماذا شبهت الحب بالخلايا السرطانية ... الخلايا السرطانية من الممكن تجويعها والقضاء عليها إذا قررنا ذلك وكان لدينا الإرادة الكافية. أما خلايا الحب السرطانية كلما جوعتها كلما كانت أكثر شراهة، وانتشرت في جسدك لتتنفس حب وتنبض حب وتنظر بعين الحب وتسمع بأذن الحب ... اتمنى لكم سرطان حب موفقًا ... شمس الحارث".

تلقى العالم الاعلامي تغريدة شمس بسعادة كبيرة، فبريق الحب كان يسطع من كلمات شمس، واستطاع الجميع أن يجزم أن شمس الآن غارقة في الحب.

مضت سنوات واستطاع يعرب أن يتسلم إدارة الوكالة الصحفية في فرع دمشق تحت إشراف شمس .. كما أن شمس أصبحت المديرة لفرع الوكالة في لبنان.

يعرب تعرف على طبيبة صديقة سلمى وكانت تدعى علياء وكان تخصصها في مجال أمراض النساء .. تزوجا وانجبا طفلة اطلق عليها اسم غزل.
أما سلمى فتخصصت في مجال الأمراض الجلدية والتجميل ... وكان زميلها الدكتور قصي واقعا في غرام سلمى التي رفضته بشدة لأنها كانت تشعر أنه سيتزوجها شفقة عليها. ولكن قصي كان محبا بالفعل وحاول اللجوء ليعرب. واستطاع يعرب تفهمه .. وقام بإقناع سلمى بالزواج منه. تزوجا وقاما بفتح عيادتين. قصي طبيب اطفال و سلمى طبيبة جلدية.
وهكذا نرى أن الحب يتجاوز كل الإعاقات المادية والمعنوية ويحولها إلى عطاءات وهبات.

تمت